القسم الثاني

بناء شخصية الطفل الإسلامية

تمهيد.

الفصل الأول : تهيئة الطفل من الولادة إلى الحولين .

الفصل الثاني: الرعاية الصحية للطفل.

الفصل الثالث : بناء عقلية الطفل الإسلامية .

الفصل الرابع : بناء نفسية الطفل الإسلامية.

الفصل الخامس : بناء سلوك الطفل الإسلامي.

obeikandl.com

قال عمر بن الخطاب ﷺ : «الناس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم» .

قال محمد بن أيوب : ارتحلتُ إلى يحيى بن هشام الغساني من أجله (أي من أجل سماع تلك العبارة) .

(المقاصد الحسنة للسخاوى، حرف النون) .

obeikandl.com

تمهيد

الشخصية المتزنة ذات أثر فعال في حياة الأفراد والجماعات، ولا تتكامل إلا عندما تكون قد وُجِّهت من كل جوانبها، وربيت من كافة أقطارها، وهُذبت من كل أطرافها .

وإذا تأملنا حركة التاريخ، وجدنا أهمية بناء وتكوين الشخصية القوية، فلا تغيير للواقع الفاسد المنحرف عن منهج الله من غير قوة، ولا قوة من غير بناء، ولا بناء من غير إعداد، وتكوين، وتربية .

وإنَّ أخصب مجالٍ للبناء التربوي مرحلة الطفولة، التي هي أطول فترة من بين الكائنات الحية، وتتميز الطفولة البشرية كذلك بالمرونة، والصفاء، والفطرية، وهي تمتد زمناً طويلاً، يستطيع المربى خلال هذه الفترة الطويلة أن يغرس في نفس الطفل ما يريد، وأن يوجهه حسبما يرسم له من خطة، ويتعرف إلى إمكاناته، ويتنبأ بمستقبله بقدر المستطاع، وكلما تدعم بناء الطفولة بالرعاية، والإشراف، والتوجيه، كلما كانت أثبت، وأرسخ أمام الهزات المستقبلية ، التي ستعترض الطفل في مستقبل شبابه .

لذلك فإن عمل الوالد الفعّال يبدأ من هذا الفصل، الذي تم التوسع في شرحه، وضرب الأمثلة النموذجية لكل فكرة؛ لتكون ذخراً للمربين، وتغذية للأطفال . وقد تم الابتعاد ـ في العرض ـ عن الفلسفة، وحشو الكلام بقدر المستطاع؛ لتكون النماذج الحية خير وسيلة للعبرة والقدوة، كما أن تقديمها للطفل، وحسن عرضها عليه، يعطى النتائج الطيبة ـ إن شاء الله .

ولهذا قال ابن سينا في كتابه «السياسة» باب : سياسة الرجل ولده ـ فترة بداية التربية ـ على حدّ تعبيره :

«فإذا فطم يبدأ بتأديبه، ورياضة أخلاقه، قبل أن تهجم عليه الأخلاق اللئيمة» .

وبالتالي فإن فكرة استصغار الطفل، وإهمال توجيهه، تعتبر باطلة، وإنما من بداية الفطام يبدأ التوجيه والإرشاد، والأمر والنهى ، والترغيب والترهيب، والتحبيب والتقبيح، وهكذا .

تتألف شخصية الإنسان من عقليته ونفسيته، ينتج عنهما سلوك، فإذا بُنيت العقلية والنفسية على قاعدة واحدة، شكلت سلوكاً متوافقاً مع عقليته ونفسيته، وأدى ذلك لتوازن تلك الشخصية وتأثيرها في الآخرين . وإذا اضطربت القاعدة، اضطرب السلوك واهتزت الشخصية .

وتشكيل العقلية يتم بتشكيل القاعدة، أي : المعلومات المسبقة التي سيحكم بها العقل على الأفكار الأخرى وربطها بالواقع . وهى في الإسلام تمثل العقيدة الإسلامية، فالاعتقاد بالعقيدة تجعل الشخص مسلماً، وجعلها محوراً وقاعدة للتحكم وفق العقيدة الإسلامية في ربطه للمعلومات بالواقع وبالعكس (أى ربط الواقع بالمعلومات) تشكل عقلية إسلامية .

أما تشكيل النفسية الإسلامية فهي بتوجيه الميول ودوافع الغرائز وفق العقيدة الإسلامية ، فتشكل له مفهوماً نفسياً وهو المعبر عنه في الحديث النبوي بالهوى : «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئتُ به» .

فإذا تم تشكيل العقلية النفسية ببناء العقيدة وجعلها حاكماً على العقل والهوى، تشكلت الشخصية الإسلامية المؤثرة فى الآخرين؛ لأنه ينتج عنه سلوك متوازن متحد الاتجاه وفق المبادئ الإسلامية . حتى لو أخلّ صاحبه بالسلوك أحياناً لضعف

هوى، أو طمع شهوة، أو لضعف في العبادة، فإن التوبة ترده إلى وضعه الطبيعي ، وتُقَوِّمُ سلوكه من جديد ، فبناء عقلية الطفل ونفسيته وسلوكه يجعل منه شخصية مؤثرة في واقعه الطفولى ، وفى مستقبله المشرق . وهذا أحد أسباب قوة الإسلام في تكوين الأفراد والجماعات؛ لشموليته كافة نواحي الحياة . وبالتالي عالج تكوين العقلية والنفسية والسلوك الإنساني، ولم ينظر له على أنه مَلك لا يخطئ، أو معصوماً عن الخطأ، وإنما : «كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون»، «لو لم تذنبوا فتستغفروا ربكم لأتى الله بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم» .

ولهذا يكون عناصر بناء شخصيته الطفل الإسلامية ببناء عقليته ونفسيته وسلوكه .

وتبدأ شخصية الطفل تتحقق منذ الصراخ الأول أثناء الولادة ليعبر عن وجوده حياً في هذا المجتمع، ولينادى بأعلى صوته : ها أنا ذا قد جئت إليكم .

بل إن الإسلام حفظ حق وجود الطفل وهو جنين، فلا يجوز إسقاط الجنين قبل نفخ الروح، وتتأكد حرمة إسقاطه بعد نفخ الروح فيه ـ أى بعد أربعة أشهر ـ ومن هنا تبرز أهمية هذا الجنين الذي سيولد لاحقاً بأن له حقوقاً على والديه والمجتمع والدولة .

* * *

الفصل الأول

تهيئة الطفل من الولادة إلى الحولين

obeikandl.com

روى الطبرانى عن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ربى صغيراً حتى يقول : لا إله إلا الله لم يحاسبه الله» [1] .

عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ : «إن للمرأة فى حملها إلى وَضْعِها إلى فصالها من الأجر كالمُتَشَحِّطِ فى سبيل الله ، فإن هَلَكَتْ فيما بين ذلكَ فَلَهَا أَجرُ شهيد» . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب «العيال» وقال محققه : إسناده حسن .

«للحامل من الأجر أجر العابدِ الصائمِ المُخْبِتِ المجاهدِ ، فإذا ضَرَبها الطَّلْقُ ؛ فلا يَدرى أحدٌ من الخَلائقِ مَا لَهَا من الأجرِ، وإن أَرْضَعتْ فلها بكلِّ رضعةٍ أو مَصَّةٍ أو مَجَّةٍ : عِتْقُ رَقَبَةٍ ، وصيام سَنَةٍ» .

الصحابي الجليل المبشر بالجنة : عبد الرحمن بن عوف ﷺ [2]

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨ / ١٥٩) : رواه الطبراني في الصغير والأوسط، وفيه سليمان بن داود الشاذكوني، وهو ضعيف .

(٢) انظر: كشف الغمة عن جميع الأمة للإمام عبد الوهاب الشعرانى ـ رحمه الله (٢/ ١٠٧).

obeikandl.com

تهيئة الطفل من الولادة إلى الحولين

تمهيد : أدعية عسر الولادة :

إن الطلق له آلامه، ومتاعبه الجسدية، والنفسية، وإن لحظة خروج المولود من اللحظات الحرجة لكلا الزوجين، وقد صورت الآية حالة مريم وهي في هذه اللحظات [1] :

﴿ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ ﴾ [مريم] .

ومما يستحب ذكره أثناء الطلق ما علمه الرسول ﷺ أن يقال أثناء طلق ابنته فاطمة، فقد روى ابن السني بإسناد ضعيف : أن فاطمة ـ رضى الله عنها ـ لما دنا ولادها، أمر الرسول ﷺ أم سلمة، وزينب بنت جحش أن تأتيا فتقرآ عندها آية الكرسي، و : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف]، و: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس] ويعوذاها بالمعوذتين [2] .

---

(١) قال محمد بن إسحاق : فلما حملت به، وملأت قلتها، ورجعت، استمسك عنها الدم، وأصابها ما يصيب الحامل على الولد من الوصب، والتوحم، وتغير اللون حتى فطر لسانها . مختصر ابن كثير (٢/ ٤٤٨) .

(٢) ذكره ابن تيمية فى كتاب (الكلم الطيب) تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط ص (٨٧)، وقال : رواه ابن السنى فى (عمل اليوم والليلة) رقم (٥٢٦) وإسناده ضعيف .

ومما رواه ابن السني عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال : «إذا عسر على المرأة ولدها أخذ إناء لطيفًا يكتب فيه : ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف] إلى آخر الآية، و : ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات]، و : ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف] ثم يغسل ويسقى المرأة منه وينضح على بطنها وفرجها»[1] .

وقد سار السلف الصالح على ذلك فقد ذكر ابن القيم ـ رحمه الله ـ فى كتابه «الطب النبوى»[2] كتاب لعسر الولادة : قال الخلال : حدثني عبد الله بن أحمد، قال : رأيت أبى يكتب للمرأة إذا عسر عليها ولادتها فى جام أبيض ، أو شيء نظيف، يكتب حديث ابن عباس ـ رضى الله عنهما : لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَٰغٌ﴾ [الأحقاف:٣٥]، و : ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات] .

قال الخلال : أنبأنا أبو بكر المروزى : أن أبا عبد الله[3] جاءه رجل فقال : يا أبا عبد الله، تكتب لامرأة قد عسر عليها ولدها مند يومين؟ فقال : قل له يجيء بجام واسع وزعفران، ورأيته يكتب لغير واحد، ويذكر عن عكرمة عن ابن عباس- رضى الله عنهما ـ قال : مر عيسى ـ صلى الله على نبينا وعليه وسلم على بقرة قد اعترض ولدها فى بطنها، فقالت : يا كلمة الله، ادع الله لى أن يخلصني مما أنا فيه، فقال : يا خالق النفس من النفس، ويا مخلص النفس من النفس، ويا مخرج النفس من النفس خلصها، قال : فرمت بولدها، فإذا هي قائمة تشمه، قال : فإذا عسر على المرأة ولدها، فاكتبه لها .

---

(١) عمل اليوم والليلة، باب : ما تعوذ به المرأة التى تطلق، رقم (٦٢٤).
(٢) (ص ٣٥٨) تحقيق : شعيب وعبد القادر الأرناؤوط وهو الجزء الرابع من زاد المعاد .
(٣) أى أحمد بن حنبل إمام أهل السنة .

قال ابن القيم : وكل ما تقدم من الرقى، فإن كتابته نافعة، ورخص جماعة من السلف فى كتابة بعض القرآن وشربه، وجعل ذلك من الشفاء الذى جعل الله فيه . ثم قال: كتاب آخر لذلك يكتب فى إناء نظيف : ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝ ﴾ [الانشقاق] وتشرب منه الحامل، ويرش على بطنها . انتهى كلام ابن القيم رحمه الله [1]، ثم ذكر ابن القيم عددًا من الآيات لعدد من الأمراض تطلب هناك لمن يريد .

والمرأة فى هذه الساعات الشديدة العصيبة بحاجة إلى التوجه بالدعاء إلى الله تعالى، وبقدر تضرعها إليه بصدق، وإخلاص، وتجديد التوبة النصوح، فسرعان ما ييسر الله تعالى عليها ولادتها، ويهيئ لها أسباب تحمل آلام المخاض، ومشاقه .

قال الشيخ ابن ظفر المكى [2] : «بلغنى أن أبا السرى منصور بن عمار ﷺ أصاب أمه وجع الولادة، وعندها قابلتها، وهو صبى بين يديها، فقالت له : يا منصور، بادر إلى أبيك فادعه، فقال لها : أتستعينين فى حال الشدة بمخلوق لا يضر ولا ينفع، وأكون أنا رسولك إليه، قالت : الساعة أموت، قال لها : قولى : يا الله أغثنى، فقالت ذلك، فاندلق جنينها من ساعته» .

وإن رعاية الله مستمرة للإنسان، ورحمته لا تنفك لحظة، وتيسيره لعباده من اللحظة الأولى، وهذا أشارت إليه الآية الكريمة : ﴿ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝ ﴾ [عبس]، فيخرج الطفل من بطن أمه، وينتهى دوام الحياة الجنينية لتبدأ الحياة الطفلية، وهنا تبدأ حقوقه على وليه بما يلى :

أولاً : عمل اليوم الأول من الولادة :

١ـ إخراج زكاة الفطر :

وسنتكلم عنها فى الفصل الرابع ـ إن شاء الله .

---

(١) سمعت من بعض المشايخ والعلماء : خذ من القرآن ما شئت لما شئت .

(٢) كتاب (أنباء نجباء الأبناء) لابن ظفر المكى، المتوفى سنة (٥٦٥هـ)، (ص ١٦٣) .

٢ـ استحقاق الميراث :

عن أبى هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : «إذا استهل المولود ورث» رواه أبو داود [١] .

وعن سعيد بن المسيب عن جابر بن عبد الله، والمسور بن مخرمة قالا: قضى رسول الله ﷺ : «لا يرث الصبي حتى يستهل صارخًا، واستهلاله أن يصيح ، أو يعطس، أو يبكى» [٢] ذكره أحمد بن حنبل في رواية ابنه عبد الله، وصححه ابن حبان .

قال في «شرح السنة» : لو مات إنسان، ووارثه حمل، يوقف له الميراث، فإن خرج حيًا كان له، وإن خرج ميتًا فلا يورث، بل لسائر ورثة الأول، فإن خرج حيًا، ثم مات يورث منه ، سواء استهل أو لم يستهل ، بعد أن وجدت فيه أمارة الحياة : من عطاس، أو تنفس، أو حركة دالة على الحياة [٣].

٣ ـ البشارة والتهنئة بالمولود الجديد :

المجتمع الإسلامي بصفته التكافلية الاجتماعية، لا يدع مناسبة فرح، أو حزن إلا أن يشارك أعضاء المجتمع الإسلامي بها، ليصبح البنيان مرصوصًا بشكل قوى .

والطفل الوليد الجديد، المنضم إلى هذا المجتمع الجديد عليه، يرحب به أعضاؤه، ويسارعون لزف البشرى لوالديه، متمثلين بشارة الملائكة لرسل الله الكرام، عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام : ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [آل عمران] ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾﴾ [مريم] .

---

(١) انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١٥٣) .

(٢) انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١٥٢) .

(٣) المنتقى من أخبار المصطفى ﷺ لابن تيمية، تحقيق : محمد حامد الفقى (٢/ ٤٦٧) .

وإن المسارعة في التهنئة، وزف البشرى، تزيد من دخول السرور على قلبي الوالدين، مما يجعل المجتمع الإسلامي قوى الارتباط، فيهنئ الضيف الوالدين بتهنئة الحسن البصري اللطيفة : «بورك لك في الموهوب، وشكرت الواهب، ورزقت بره، وبلغ أشده» . كما ذكر ذلك ابن القيم ـ رحمه الله ـ فى «تحفة المولود» .

وأما التابعي الجليل أيوب السختياني ـ رحمه الله ـ فكان إذا هنأ رجلاً بمولود قال : «جعله الله تعالى مباركًا عليك، وعلى أمة محمد ﷺ» [1] .

٤ ـ الأذان فى أذنه اليمنى، والإقامة فى أذنه اليسرى :

روى الإمام أحمد، والترمذى، أن رسول الله ﷺ : أذن في أذن الحسن بن على حين ولدته فاطمة بالصلاة ـ أي : بأذانها .

وأما دليل الإقامة في أذن المولود : فقد روى الإمام أحمد عن أبى رافع ﷺ قال : رأيت رسول الله ﷺ أذن فى أذنى الحسن حين ولدته فاطمة بالصلاة .

فالأذان في أذني الحسن يكون بالأذان والإقامة؛ لأن الإقامة تشبه الأذان . وهى تسمى أذانًا أيضًا، وهذا ما فعله المجتهد خامس خلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ فقد روى عنه أنه كان يؤذن في أذن المولود في أذنه اليمنى، ويقيم في اليسرى [2] .

وأما الروايات التي ذكرت أنه ﷺ أذن في أذن الحسن، فيمكن حملها على جنس الأذن، وجنس الأذان، أو يمكن أنه ﷺ أذن مرة واحدة تارة، وأذن مرتين في تارة أخرى .

وعلى ظاهر الحديث يكون الأذان مرتين، الأولى في الأذن اليمنى، والثانية فى الأذن اليسرى ـ والله أعلم .

والسر في ذلك ، وحكمته ، كما قال الدهلوى ـ رحمه الله :

---

(١) حلية الأولياء لأبى نعيم الأصفهانى ـ رحمه الله (٣ / ٨) .
(٢) انظر : هامش تحقيق كتاب العيال (١/ ١٩٤) .

١ ـ الأذان من شعائر الإسلام .

٢ ـ إعلام الدين المحمدي .

٣ ـ ثم لابد من تخصيص المولود بذلك الأذان، بأن يصوت في أذنه .

٤ ـ علمت أن من خاصية الأذان : أن يفر منه الشيطان، والشيطان يؤذى الولد في أول نشأته، حتى ورد في الحديث أن استهلاله لذلك[١] . أخرج الشيخان عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «ما من بني آدم مولود، إلا نخسه الشيطان، حين يولد، فيستهل صارخًا من نخسه إياه، إلا مريم وابنها»، ثم يقول أبو هريرة : اقرؤوا إن شئتم : ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾ [آل عمران] . وفى مسند ابن رزين : أنه ﷺ قرأ فى أذن مولود سورة الإخلاص[٢] . ويكشف ابن القيم عن أسرار أخرى للتأذين، فيقول ـ رحمه الله :

٥ ـ أن يكون أول ما يقرع سمع الإنسان، كلماته المتضمنة لكبرياء الرب، وعظمته، والشهادة التى أول ما يدخل بها فى الإسلام، فكان ذلك كالتلقين له، شعار الإسلام عند دخوله الدنيا، كما يلقن التوحيد عند خروجه منها .

٦ ـ وغير مستنكر وصول أثر التأذين إلى قلبه، وتأثره به، وإن لم يشعر، مع ما فى ذلك من فائدة أخرى، وهى :

٧ ـ هروب الشيطان من كلمات الأذان، وهو كان يرصده، حتى يولد، فيقارنه للمحنة التي قدرها الله، وشاءها، فيسمع شيطانه ما يضعفه، ويغيظه، أول أوقات تعلقه به .

٨ ـ وفيه معنى آخر وهو : أن تكون دعوته إلى الله، وإلى دينه الإسلام، وإلى عبادته، سابقة على دعوة الشيطان، كما كانت فطرة الله التي فطر عليها سابقة على

---

(١) كتاب : حجة الله البالغة للدهلوى .

(٢) شرح مغنى المنهاج للإمام الشربينى ـ رحمه الله (٤ / ٢٩٦) .

تغيير الشيطان لها، ونقله عنها، ولغير ذلك من الحكم [1]. وسواء كان المولود ذكرًا أو أنثى، فهو هبة الله، ونعمته على عباده: روى الطبرانى عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ولدت الجارية، بعث الله عز وجل إليها ملكا يزف البركة زفًا، يقول: ضعيفة خرجت من ضعيفة، القيم عليها معان إلى يوم القيامة، وإذا ولد الغلام، بعث الله إليه ملكًا من السماء، فقبَّل بين عينيه، وقال: الله يقرئك السلام».

٥ ـ الدعاء وشكر الله تعالى على النعمة الجديدة:

روى الحافظ أبو يعلى الموصلى فى مسنده عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنعم الله على عبد نعمة من أهل، أو قال: أو ولد، فيقول: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، فيرى فيه آفة دون الموت».

٦ ـ تحنيك المولود [2]:

فى الصحيحين عن أبى موسى ﷺ قال: ولد لى غلام، فأتيت به النبى ﷺ فسماه إبراهيم، وحنكه بتمرة، وزاد البخارى: ودعا له بالبركة ودفعه إلىّ. وفى الصحيحين عن هشام بن عروة عن أسماء ـ رضى الله عنها ـ أنها حملت بعبد الله بن الزبير بمكة، (قالت): فخرجتُ وأنا متمّ [3]، فأتيتُ المدينة، فنزلت بقباء، فولدته بقباء، ثم أتيتُ رسول الله ﷺ فوضعته فى حجره، فدعا بتمرة، فمضغها، ثم تفل فيه،

---

(١) أحكام المولود لابن القيم.

(٢) يقول الدكتور فاروق مساهل ـ مجلة الأمة القطرية عدد (٥٠) ـ فى مقالته: تحت عنوان: اهتمام الإسلام بتغذية الطفل، معلقًا على حديث التحنيك ما نصه: والتحنيك بكل المقاييس معجزة نبوية طبية، مكثت البشرية أربعة عشر قرنًا من الزمان لكى تعرف الهدف والحكمة من ورائها، فلقد تبين للأطباء أن كل الأطفال الصغار (وخاصة حديثى الولادة والرضع) معرضون للموت لو حدث لهم أحد أمرين:

١ ـ إذا نقصت كمية السكر فى الدم (بالجوع).

٢ ـ إذا انخفضت درجة حرارة أجسامهم عند التعرض للجو البارد المحيط بهم.

(٣) أنا متم: أى: دنا ولادها.

فكان أول شيء دخل جوفه ريق الرسول ﷺ . قالت : ثم حنكه بالتمرة، ثم دعا له، وبرَّك عليه، وكان أول مولود ولد فى الإسلام للمهاجرين فى المدينة، قالت : ففرحوا به فرحًا شديدًا، وذلك أنهم قيل لهم : إن اليهود قد سحرتكم، فلا يولد لكم .

روى البخارى فى صحيحه عن أنس ﷺ قال : غَدَوتُ إلى رسول الله ﷺ بعبد الله بن أبى طلحة ليحنكه .

وروى البخارى فى صحيحه عن أبى موسى ﷺ قال : ولد لى غلامٌ، فأتيتُ النبىَّ ﷺ فسمّاه إبراهيم، فحنكه بتمرة، ودعا له بالبركة، ودفعه إلىَّ .

وروى مسلم فى صحيحه ، عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن النبى ﷺ كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم، ويحنكهم، فأتى بصبى، فبال عليه، فدعا بماء، فأتبعه بوله .

قال الإمام النووى ـ رحمه الله ـ معلقًا : قوله : «فيبرك عليهم» : أى يدعو لهم، ويمسح عليهم، وأصل البركة : ثبوت الخير، وكثرته، وقولها : «فيحنكهم» : قال أهل اللغة : التحنيك : أن يمضغ التمر، أو نحوه، ثم يدلك به حنك الصغير، وفيه لغتان مشهورتان : حنكته بالتخفيف والتشديد، والرواية هنا : فيحنكهم بالتشديد، وهى أشهر اللغتين، وقولها : « بصبى يرضع» هو بفتح الياء، أى : رضيع ، وهو الذى لم يفطم .

أما أحكام الباب :

ـ ففيه استحباب تحنيك المولود .

ـ وفيه التبرك بأهل الصلاح والفضل .

ـ وفيه استحباب حمل الأطفال إلى أهل الفضل للتبرك بهم، وسواء فى هذا الاستحباب المولود فى حال ولادته وبعدها .

ـ وفيه الندب إلى حسن المعاشرة، واللين، والتواضع، والرفق بالصغار وغيرهم» [1].

(١) شرح صحيح مسلم، باب : حكم بول الرضيع، وكيفية غسله .

كيفية تحنيك النبى ﷺ للمولود :

عن أنس ﷺ قال : لما ولدت أم سليم غلامًا، أرسلت به معى، إلى النبى ﷺ، وحملت تمرًا، فأتيت به رسول الله ﷺ، وعليه عباءة، وهو يهنأ بعيرًا له، فقال رسول الله ﷺ : «هل معك تمر؟»، قال : قلت : نعم، فأخذ التمرات، فألقاهن فى فيه، فلاكهنّ، ثم جمع لعابه، ثم فغر فاه، فأوجره إياه، فجعل الصبى يتلمظ، فقال رسول الله ﷺ : «حب الأنصار التمر»، فحنكه، وسماه عبد الله، فما كان فى الأنصار شاب أفضل منه . رواه أحمد فى مسنده (٣ / ١٨٨) . وكذا رواه مسلم والبخارى .

٧ ـ تحضير وتجهيز سرير المهد :

ذكر الله تعالى سرير المهد فى معرض الحديث عن سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، فقال : ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾

[آل عمران : ٤٦] .

قال أبو حيان فى التفسير : «المهدُ» : مقر الصبى فى رضاعه، وأصله مصدر، سُمى به يقال : مَهَدَت لنفسى ـ بتخفيف الهاء وتشديدها ـ أى وطأت .

وفى لسان العرب مادة مهدة : مَهدُ الصبى : موضعه الذى يتهيأ له، ويُوطأ لينام فيه.

وقال ابن الجوزى فى زاد المسير (١/ ٣٩٠): والمهدُ : مضجع الصبى فى رضاعه، وهو مأخوذ من التمهيد، وهو التوطأة .

وقال السيوطى فى الدر المنثور : أخرج ابن جرير وابن المنذر من طريق ابن جريج قال : بلغنى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : (المهدُ) : مضجع الصبى فى رضاعه .

وقال ابن عاشور فى تفسيره التحرير والتنوير : (والمهدُ) : شبه الصندوق من خشب لا غطاء له، يُمهد به، مضجع للصبى مدة رضاعه، يُوضع فيه لحفظه من السقوط» .

فدلت هذه الآراء على أمور هامة منها :

١ ـ أن الطفل الرضيع له مكان خاص ينام فيه منفصلاً عن أمه .

٢ ـ لا يسمح للأم أن تنام مع رضيعها خشية أن تضغط عليه أو تضربه أو تُميته من حيث لا تشعر وهى نائمة .

٣ ـ أن سرير الطفل يمهد تمهيدًا جيدًا بحيث يريح أعضاءه .

٤ ـ أن السرير المنفصل يساعد الأم على هز الطفل لكى ينام .

٥ ـ أن السرير لابد له من جوانب تحيطه، لكى يبقى الطفل محفوظًا فيه من السقوط على الأرض أثناء هزه أو أثناء قيامه بالحركة . والله أعلم .

ثانيًا : عمل اليوم السابع :

١ – تسمية الطفل وتكنية والديه به ذكرًا أو أنثى : ﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾

[آل عمران : ٣٦]

«فإذا ولد المولود فإن من أول الإكرام له، والبرّ به، أن يحلّيه باسم حسن، وكنية لطيفة ، شريفة ، فإن للاسم الحسن موقعًا فى النفوس مع أول سماعه، وكذلك أمر الله عباده ، وأوجب عليهم أن يدعوه بالأسماء الحسنى، فقال : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف] .

وأمر أن يصفوه بالصفات العُلا فقال : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾ [الإسراء : ١١٠] .

واختار النبى ﷺ أسماء أولاده اختيارًا، وآثرها إيثارًا، ونحل محمد ابن الحنفية

اسمه بعد ذلك، تشريفًا له، وإجلالاً، وإكرامًا، وإفضالاً [1]، وذلك لما روى أبو يعلى فى مسنده (١/ ٢٥٩) بسند صحيح عن محمد ابن الحنفية، عن على ـ رضى الله عنهما : أنه استأذن رسول الله ﷺ فى إن وُلد له بعده ولد، أن يسميه باسمه، ويكنيه بكنيته . قال : فكانت رخصة من رسول الله ﷺ . قال : وكان اسمه محمدًا، وكنيته أبا القاسم . قال المحقق حسين أسد : ورواه أبو داود، والترمذى، وابن سعد فى الطبقات، والحاكم فى المستدرك، وصححه، ووافقه الذهبى .

وروى البخارى فى صحيحه عن أبى موسى ﷺ قال : وُلد لى غلامٌ ، فأتيتُ به النبى ﷺ فسمَّاه إبراهيم، وحنَّكه بتمرة، ودعا له بالبركة ، ودفعه إلىَّ .

قال الإمام مالك ـ رحمه الله تعالى : سمعتُ أهلَ المدينة يقولون : ما مِنْ أهل بيت فيهم اسم محمد ﷺ إلا رزقوا رزق الخير .

قال ابن رشد معلقًا : يُحتمل أن يكونوا عرفوا ذلك بالتجربة، أو عندهم فى ذلك أثر [2] .

وذكر القاضى عياض ـ رحمه الله ـ فى كتابه النفيس الرائع «الشفا فى تعريف حقوق المصطفى» الباب الثالث :

قال مالك ـ رحمه الله : «سمعت أهل مكة يقولون : ما مِنْ بيت فيه اسم محمد ﷺ إلا نما، ورُزِقَ جيرانهم» .

وعنه ﷺ : «ما ضَرَّ أحدُكم أن يكون فى بيته محمد، ومحمدان، وثلاثة» . رواه ابن سعد من حديث عثمان العمرى مرفوعًا .

وروى أبو داود، والنسائى عن أبى وهب الجشمى قال : قال رسول الله ﷺ : «تسموا بأسماء الأنبياء، وأحب الأسماء إلى الله تعالى : عبد الله، وعبد الرحمن،

(١) مغنى المحتاج (٤/ ٢٩٥) .
(٢) نصيحة الملوك لأبى الحسن الماوردى (ص ١٦٦) .

وأصدقها : حارث، وهمام، وأقبحها : حرب ومرّة»[1] .

وروى أبو داود عن أبى الدرداء ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «إنكم تُدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم ، فأحسنوا أسماءكم» وأخرجه ابن حبان فى صحيحه، ورجاله ثقات، إلا أن فيه انقطاعًا .

وروى مسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «أحبُّ الأسماء إلى الله تعالى : عبد الله، وعبد الرحمن» .

وروى الطبرانى عن أبى بسرة مرفوعًا : «خيرُ أسمائكم : عبد الله، وعبد الرحمن، والحارث»[2] .

وغدا الصحابة يطبقون هذا الحديث ، حتى ذكر ابن الصلاح أن من يسمى «عبد الله» من الصحابة نحو (٢٢٠) نفسًا، وقال العراقى : يجتمع من المجموع نحو (٣٠٠) رجل[3] .

ومن لطيف ما صنعه النبى ﷺ أنه سمى ابن عباس بعبد الله يوم ولد . فعن ابن عباس قال : حدثتنى أم الفضل بنت الحارث قالت : بينما أنا مارة والنبى ﷺ فى الحجر، فقال : «يا أم الفضل» ، قلت : لبيك يا رسول الله، قال : «إنك حامل بغلام» ، قلت : كيف ، وقد تحالفت قريش لا يولدون النساء؟ قال : «هو ما أقول لك ، فإذا وضعتيه، فأتنى به» . فلما وضعته ، أتيت النبى ﷺ، فسماه (عبد الله) ثم قال : «اذهبى به، فلتجدنه كيسًا»، قالت : فأتيت العباس، فأخبرته، فتبسم ثم أتى النبى ﷺ وكان رجلاً جميلاً، مديد القامة، فلما رآه النبى ﷺ قام إليه، فقبَّل ما بين عينيه، وأقعده عن يمينه، ثم قال : «هذا عمى، فمن شاء فليباه

---

(١) فى سنده مجهول، لكن يشهد لبعض أحاديث صحيحة، انظر : جامع الأصول (١ / ٣٥٧)، ت : الأرناؤوط .

(٢) صحيح : انظر : صحيح الجامع رقم (٣٢٦٩) .

(٣) عن : المنهل اللطيف فى أصول الحديث للشيخ محمد بن علوى المالكى الحسنى (ص ١٩٤) .

بعمه» . قال العباس : بعض القول يا رسول الله!، قال : «ولم لا أقول، وأنت عمى ، وبقية آبائى ؟! والعم والد» [1] .

وروى الترمذى وقال : حديث حسن غريب عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن النبى ﷺ رأى فى بيت الزُّبير مِصباحًا، فقال : يا عائشة، ما أرى أسماء إلا قد نُفِسَتْ فلا تُسَمُّوهُ حتى أُسَمِّيَهُ . فسماهُ عبد الله ، وحَنَّكَهُ بتمرة بيده .

وروى البخارى أنَّ أول مولود وُلِدَ فى الإسلام عبد الله بن الزُّبير، أتوا به النبىﷺ فأخذ النبى ﷺ تَمرة فلاكها ، ثم أدخلها فى فيه،فأول ما دخل بطنه ريق النبىﷺ . وفى رواية لمسلم : جئنا بعبد الله بن الزبير إلى النبى ﷺ يُحَنِّكُهُ فطلبنا تمرة، فعزَّ علينا طلبها .

وروى مسلم وأبو داود عن أنس ﷺ أن النبى ﷺ قال : «ولد لى الليلة غلام، فسميته باسم أبى إبراهيم» .

وأخرج مسلم فى صحيحه عن جابر ﷺ قال : ولد لرجل منا غلام، فسمّاه القاسم، فقلنا : لا نكنيك أبا القاسم، ولا نُنْعِمُكَ عينًا، فأتى النبى ﷺ فذكر ذلك له، فقال : «سمِّ ابنك عبد الرحمن» .

وأخرج أيضًا قال : وُلد لرجل منا غلام فسماه محمدًا، فقال له قومه : لا ندعك تسمى باسم رسول الله ﷺ . فانطلق بابنه، حامله على ظهره، فأتى به النبى ﷺ فقال : يا رسول الله، وُلد لى غلام، فسميته محمدًا، فقال لى قومى : لا ندعك تُسمى باسم رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : «تسمّوا باسمى، ولا تكتنوا بكنيتى، فإنما أنا قاسم، أقسم بينكم» .

ويقرر النبى ﷺ أن الأمم المؤمنة السابقة، كانت تسمى أبناءها بأسماء أنبيائها، وصالحيها : أخرج مسلم عن المغيرة بن شعبة ﷺ قال : لما قدمت نجران سألونى

(١) عن المنهل اللطيف فى أصول الحديث للشيخ محمد بن علوى المالكى الحسنى (٢٣٠).

فقالوا : إنكم تقرؤون : ﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ ﴾ [مريم : ٢٨] . وموسى قبل عيسى بكذا وكذا ، فلما قدمتُ على رسول الله ﷺ، سألته عن ذلك فقال : «إنهم كانوا يُسمون بأنبيائهم، والصالحين قبلهم» ورواه أحمد، والترمذى ، والنسائى، وعبد بن حميد، وابن أبى شيبة، وغيرهم [١] .

وفى تفسير القرطبى : قال ابن عباس فى تفسير قوله تعالى : ﴿ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ﴾ [الحشر : ٢٣] إذا كان يوم القيامة أخرج الله تعالى أهل التوحيد من النار ، وأول من يخرج من وافق اسمه اسم نبىّ ، حتى إذا لم يبق فيها من وافق اسمه اسم نبى، قال الله تعالى : أنتم المسلمون، وأنا السلام، أنتم المؤمنون، أنا المؤمن، فيخرجهم من النار ببركة هذين الاسمين .

وفى كتاب «الخصائص» لابن سبع عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما : أنه إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ : ألا ليقم من اسمه محمد ﷺ فليدخل الجنة، كرامة لنبيه ﷺ .

وفى مسند الحارث بن أبى سلمة : أنَّ النبى ﷺ قال : «من كان له ثلاثةٌ من الولد، ولم يُسم أحدُهم بمحمد فقد جَهِلَ» [٢] .

وقد اختار الصحابى الجليل الزبير بن العوام أسماء شهداء الصحابة لأبنائه، رجاء أن يسلكوا سلوكهم، فينالوا درجة الشهادة فى سبيل الله .

يقول الزبير ﷺ : «إن طلحة بن عبيد الله التميمى يسمى بنيه بأسماء الأنبياء، وقد علم أن لا نبى بعد محمد ﷺ، وإنى أسمّى بنىّ بأسماء الشهداء ؛ لعلهم أن يستشهدوا » .

وعلى هذه القاعدة، وذلك المذهب جاءت أسماء بأبنائه، فسمى «عبد الله» بعبد الله بن جحش شهيد غزوة أحد، و«المنذر» بالمنذر بن عمرو الأنصارى من بنى

---

(١) انظر : حسن الأسوة (ص ١٣٥) .

(٢) انظر : شرح مغنى المحتاج للشربينى ـ رحمه الله ـ (٤/ ٤٩٥) .

ساعدة، و«عروة» بعروة بن مسعود الثقفى، و«حمزة» بحمزة بن عبد المطلب شهيد أحد، و«جعفرًا» بجعفر بن أبى طالب شهيد غزوة مؤتة، و«مصعبًا» بمصعب بن عمير حامل اللواء وشهيد أحد، و«عبيدة» بعبيدة بن الحارث شهيد غزوة بدر، و«خالدًا» بخالد بن سعيد شهيد مرج الصفر، و«عمر» بعمر بن سعيد أخى خالد، قتل يوم اليرموك [1].

وبعد تسمية المولود الأول فإن أبويه يُكْنيان باسمه :

روى أبو داود، والنسائى عن أبى شريح : أنه كان يسمى أبا الحكم، فقال له النبى ﷺ : «إن الله هو الحكم، وإليه الحُكم» . فقال : إن قومى إذا اختلفوا فى شىء أتونى، فحكمت بينهم، فرضى كلا الفريقين، فقال : ما أحسن هذا ! فما لك من الولد ؟» فقلت : شريح، ومسلم، وعبد الله، قال : «فمن أكبرهم ؟» قلت : شريح، قال : «أنت أبو شريح» [2] . ورواه الحاكم، وزاد : «فدعا له ولولده» .

قال فى «شرح السنة» : الحَكَم : هو الحاكم الذى إذا حكم، لا يرد حكمه، وهذه الصفة ؛ لا تليقُ بغير الله تعالى، كما قال الله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ﴾ [الرعد : ١٤] .

«وفيه : أن يكنى الرجل بأكبر بنيه، فإن لم يكن له ابن فبأكبر بناته، وكذلك المرأة، تكنى بأكبر بنيها، فإن لم يكن لها ابن فبأكبر بناتها» [3] .

ومن ثم تكنية المولود لما كان النبى ﷺ ينادى الطفل الصغير بكنيته، وليس باسمه، فيمازحه بقوله : «يا أبا عمير، ما فعل النغير؟» والحديث رواه مسلم .

---

(١) انظر : تربية النشء فى ظل الإسلام (ص ١٢٤) للدكتور محمود محمد عمارة .
(٢) إسناده صحيح : انظر : جامع الأصول (١/ ٣٧٣) ت : الأرناؤوط .
(٣) شرح السنة (٦/ ٣٩٤) ، والحديث رواه أبو داود والنسائى والبخارى فى الأدب المفرد والحاكم ، كذا قاله محقق شرح السنة ، طبع دار الكتب العلمية .

وإن الشيطان ليوحى بالأسماء القبيحة والأسماء غير الشرعية؛لذا السعيد والسعيدة من ابتعد عن ذلك :

روى الترمذى عن سمرة بن جندب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «لما حملت حواء ـ عليها السلام ـ طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد فقال : سمِّيه عبد الحارث فإنه يعيش فسمَّته فعاش وكان ذلك من وحى الشيطان وأمره» .

ومن الأسماء المكروه التسمية بها :

ما رواه مسلم واللفظ له، والترمذى، وأبو داود : «لا تُسمين غلامك يسارًا، ولا رباحًا، ولا نجيحًا، ولا أفلح» .

وما رواه الترمذى عن عمر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «لأنهينَّ أن يسمى رافعًا، وبركة، ويسارًا» [1] .

وإنك لتلحظ اهتمام النبى ﷺ أنه كان يغير الأسماء القبيحة :

أخرج الترمذى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ كان يغير الاسم القبيح [2] .

فمن ذلك أنه غير اسم برَّة إلى زينب :

روى مسلم وأبو داود عن محمد بن عمرو بن عطاء ـ رحمه الله تعالى ـ قال : سميت ابنتى برَّة، فقالت لى زينب بنت أبى سلمة : إن رسول الله ﷺ نهى عن هذا الاسم؛ وسُمّيتُ برَّة، فقال رسول الله ﷺ : «لا تزكوا أنفسكم، الله أعلم بأهل البر منكم» فقالوا : بم نُسميها ؟ قال : سموها زينب» .

---

(١) إسناده قوى . انظر : جامع الأصول (١/ ٣٧١) ت : الأرناؤوط .

(٢) إسناده صحيح ، المصدر السابق . وانظر : صحيح الجامع رقم (٤٩٩٤) ، وسلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٢٠٧) .

وغيّر اسم عاصية إلى جميلة :

أخرج مسلم وأبو داود عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ غير اسم عاصية، وسماها جميلة .

وغير اسم بغيض إلى حبيب :

عندما وفد بغيض بن حبيب بن مروان على النبى ﷺ فسماه حبيبًا [1] .

وغير اسم أصْرم إلى زُرْعة :

أخرج أبو داود عن بشير بن ميمون ﷺ عن عمه أسامة بن أخدرى : أن رجلاً كان اسمه : أصرم، وكان فى نفر أتوا النبى ﷺ، فقال له : «ما اسمك؟» قال : أصرم، قال : «بل أنتَ زُرْعة» .

وذكر النووى ـ رحمه الله ـ فى كتابه «الأذكار» : «أن السنة تسميته يوم السابع؛ أو يوم الولادة، واستدل لكل منهما بأخبار صحيحة .

وحمل الإمام البخارى ـ رحمه الله ـ أخبار يوم الولادة على من لم يرد العَقّ، وأخبار يوم السابع على من أراده . قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ شارحه : وهو جمع لطيف لم أره لغيره، قال الشربينى : ولو مات قبل التسمية استحب تسميته ، بل يُسن تسمية السقط ، فإن لم يعلم أذكر هو أم أنثى سُمى اسماً يصلح لهما : كخارجة وطلحة وهند» انتهى [2] .

كيف تختار اسمًا حسنًا للطفل؟

هناك ثلاثة خيارات يقدمها الإمام الماوردى :

١ ـ منها أن يكون الاسم مأخوذًا من أسماء أهل الدين، من الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين، ينوى بذلك التقرب إلى الله ـ جلَّ اسمه ـ بمحبتهم، وإحياء

(١) ذكره ابن حجر ـ رحمه الله ـ فى الإصابة (١/ ١٦٦) فى حرف الباء .
(٢) مغنى المحتاج (٤/ ٢٩٤) .

أسمائهم، والاقتداء بالله ـ جل اسمه ـ فى اختيار تلك الأسماء لأوليائه، وما جاء به الدين، كما قد روينا عنه أن أحب الأسماء إلى الله : عبد الله وأمثاله .

قال الشيخ الدهلوى[1] ـ رحمه الله : «اعلم أن أعظم المقاصد الشرعية، أن يدخل ذكر الله فى تضاعيف ارتفاقاتهم الضرورية؛ ليكون كل ذلك ألسنة تدعو إلى الحق، وفى تسمية المولود بذلك إشعار بالتوحيد، وأيضًا فكان العرب وغيرهم يسمون الأولاد بمن يعبدونه، ولما بعث النبى ﷺ مقيمًا لمراسم التوحيد، وجب أن يسن فى التسمية أيضًا مثل ذلك، وإنما كان الاسمان[2] أحب من سائر ما يضاف فيه العبد إلى اسم من أسماء الله تعالى؛ لأنهما أشهر الأسماء، ولا يطلقان على غيره، بخلاف غيرهما، وأنت تستطيع أن تعلم من هذا سرّ استحباب تسمية المولود بمحمد؛ وأحمد، فإن طوائف الناس أولعوا بتسمية أولادهم بأسماء أسلافهم المعظمين عندهم، وكاد يكون ذلك تنويهًا بالدين، وبمنزلة الإقرار بأنه من أهله .

٢ ـ ومنها أن يكون الاسم قليل الحروف؛ خفيفًا على الألسن، سهلاً فى اللفظ، سريع التمكن من السمع .

٣ ـ ومنها أن يكون حسنًا فى المعنى، ملائمًا لحال المسمى، جاريًا فى أسماء أهل طبقته، وملته؛ وأهل مرتبته[3] .

وقد ذكر ابن قُتيبة فى كتابه الشهير «أدب الكاتب» باب : أصول أسماء الناس، فأرجعها إلى خمس، وهى : المسمّون بأسماء النبات، والطير، والسباع، والهوام ، وبالصفات وغيرها، وذكر الأسماء ومعانيها .

وقد جرت عادة حسنة فى عصرنا الحاضر؛ باستخراج الأسماء من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة . نحو : ضحى ـ تسنيم ـ هبة ـ تقى ـ عفاف ـ غنى ـ وغير ذلك وهى سُنّة حسنة، إن شاء الله .

---

(١) فى كتابه : (حجة الله البالغة) .

(٢) أى : عبد الله، وعبد الرحمن .

(٣) نصيحة الملوك (ص ١٦٦) .

٢ ـ حلق شعر الطفل :

روى الإمام مالك : أن فاطمة ـ رضى الله عنها ـ وزنت شعر حسن، وحسين، وأم كلثوم، فتصدقت بزنة ذلك فضة .

وذكر ابن إسحاق : أنَّ رسول الله ﷺ قال لفاطمة حينما ولدت الحسن : «يا فاطمة، احلقى رأسه، وتصدقى بزنة شعره فضة» فوزنته، فكان وزنه درهمًا، أو بعض درهم .

قال الشيخ الدهلوى ـ رحمه الله ـ معلقًا على الحديث : السبب فى التصدق بالفضة : «أن الولد لما انتقل من الجنينية إلى الطفلية، كان ذلك نعمة؛ يجب شكرها، وأحسن ما يقع به الشكر ما يُؤذن [١] أنه عوضه، فلما كان شعر الجنين بقية النشأة الجنينية، وإزالته أمارة للاستقلال بالنشأة الطفلية، وجب أن يؤمر بوزن الشعر فضة، وأما تخصيص الفضة؛ فلأن الذهب أغلى، ولا يجده إلا غنى، وسائر المتاع ليس له بال بزنة شعر المولود» .

٣ – استحباب وليمة العقيقة [٢] :

روى الإمام أحمد والترمذى وأبو داود والنسائى والحاكم وابن حبان فى صحيحه عن أم كرز الكعبية : أنها سألت رسول الله ﷺ عن العقيقة؟ فقال ﷺ : «عن الغلام شاتان، وعن الجارية شاة، لا يضركم أذكرانًا كُنّ أم إناثًا» .

وروى أصحاب السنن عن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : «كل غلام رهينة [٣] بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه، ويسمى فيه، ويحلق رأسه» .

---

(١) أى : يشعر .

(٢) جاء فى (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدى (ص ٦٢) قال : «العرب تقول : عقَّ الرجل عن ابنه، يعقُّ؛ إذا حلق عقيقته، وذبح عنه شاة، وتسمى الشاة التى تُذبح لذلك : عقيقة والعقّة : العقيقة وتجمع عقيقًا، والعقيقة : الشعر الذى يُولد الولد به ، وتسمى الشاة التى تذبح لذلك عقيقة، يقع اسم الذَّبح على الطعام، ويقال : أعقّت الحاملُ إذا نبتت العقيقة على ولدها فى بطنها، فهى مُعقّ وعقوق» .

(٣) أى : كالشىء المرهون لا يتم الانتفاع والاستمتاع به دون فكه، ويحتمل أنه أراد بذلك أن سلامة المولود ونشأته على النعت المحبوب رهينة بالعقيقة، وهذا هو المعنى كما قال الدهلوى .

والحديث صحيح ، انظر : صحيح الجامع (٤١٨٤) وقال : رواه الترمذى ، والحاكم .

وقال الخطابى : وأجود ما قيل فيه ما ذهب إليه أحمد بن حنبل : أنه إذا لم يعق عنه لم يشفع فى والديه يوم القيامة ، ونقله الحليمى عن جماعة متقدمة على أحمد» . انظر : شرح المحتاج للشربينى (٤/ ٢٩٣) .

وروى الإمام أحمد عن أسماء بنت يزيد مرفوعًا : «العقيقة حق، عن الغلام شاتان متكافئتان، وعن الجارية شاة» [١] .

وروى الطبرانى عن ابن عباس مرفوعًا : «عن الغلام عقيقتان، وعن الجارية عقيقة» [٢] .

وروى الطبرانى والضياء عن بريدة مرفوعًا : «العقيقة تُذبح لسبع، أو لأربع عشرة، أو لإحدى وعشرين» [٣] .

وكان أنس ﷺ يعق عن بنيه الجزور [٤] .

وعن عون العقيلى قال : «أول مولود ولد بالبصرة عبد الرحمن بن أبى بَكرة ، فنحر أبوه جَزُورًا، ودعا الناس وأطعمهم» [٥] . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (١/ ٢١١) .

ومن شدة اهتمام السلف الصالح بأمر العقيقة ، أن الذى لا يجد مالاً ؛ لكى يعق عن ولده، عق بعصفور؛ فقد روى مالك فى الموطأ [٦] بسنده عن محمد بن إبراهيم ابن الحارث التيمى أنه قال : «سمعت أبى يستحب العقيقة ولو بعصفور» .

قال الإمام مالك بعدها : الأمر عندنا فى العقيقة : أن من عق فإنما يعقُّ عن ولده بشاة، شاة للذكور والإناث، وليست العقيقة بواجبة، ولكنها يستحب العمل بها، وهى من الأمر الذى لم يزل عليه الناس عندنا، فمن عقّ عن ولده فإنما هى بمنزلة النُّسُك ، والضحايا ، لا يجوز فيها : عوراء، ولا عجفاء، ولا مكسورة، ولا مريضة ولا يباع من لحمها شىء، ولا جلدها، ولا يُكسر عظامها، ويأكل أهلها من لحمها، ويتصدَّقون منها، ولا يُمسُّ الصبى بشىء من دمها» [٧].

---

(١) صحيح : انظر : صحيح الجامع رقم (٤١٠٦ – ٤١٠٧) .
(٢) صحيح : انظر : صحيح الجامع رقم (٤١٣٢) .
(٣) رواه الطبرانى فى الكبير ، ورجاله رجال الصحيح ، كذا قاله الهيثمى فى المجمع (٤/ ٥٩) .
(٤) أى : يذبح .
(٥) شرح المحتاج (٤/ ٢٩٣) .
(٦، ٧) الموطأ ، كتاب العقيقة .

قال الشيخ الدهلوى ـ رحمه الله : «يستحب لمن وجد الشاتين، أن ينسك بهما عن الغلام، وذلك لما عندهم أن الذكران أنفع لهم من الإناث، فتناسب زيادة الشكر، وزيادة التنويه» .

وأما سبب الأمر بالعقيقة فهو : أن العرب كانوا يعقّون عن أولادهم، وكانت العقيقة أمرًا لازمًا عندهم، وسُنَّة مؤكدة، وكان فيها مصالح كثيرة، راجعة إليه المصلحة المالية، والمدنية، والنفسية، فأبقاها الرسول ﷺ وعمل بها ورغّب الناس فيها» .

إلا أن رسول الله ﷺ غيّر فى تقاليدها :

فعن بريدة ﷺ قال : «كنا فى الجاهلية إذا ولد لنا غلام ذبحنا عنه شاة، ولطخنا رأسه بدمها، فلما كان الإسلام كنا إذا ولد لنا غلام ذبحنا عنه شاة، وحلقنا رأسه،ولطخنا رأسه بزعفران» . رواه الحاكم فى مستدركه (٤/ ٢٣٨) وقال : صحيح على شرط الشيخين، وأقره الذهبى .

وقال الشربينى ـ رحمه الله : «ويكره لطخ رأس المولود بدمها؛ لأنه من فعل الجاهلية، وإنما لم يحرم للخبر الصحيح كما فى (المجموع) أنه ﷺ قال : «مع الغلام عقيقة، فأهرقوا عليه دمًا ، وأميطوا عنه الأذى » ، بل قال الحسن وقتادة : إنه يستحب ذلك، ثم يغسل؛ لهذا الخبر، ويسن لطخ رأسه بالزعفران والخلوق، كما صححه فى (المجموع) . انتهى شرح المحتاج (٤/ ٢٩٤) .

مصالح الأمر بالعقيقة وحِكَمُها [1] :

١ ـ التلطف بإشاعة نسب الولد : إذ لا بد من إشاعته؛ لئلا يقال فيه ما لا يحبه، ولا يحسن أن يدور فى السكك، فينادى أنه ولد لى ولد، فتعين التلطف بمثل ذلك .

(١) من (١) إلى (٤) من كتاب (حجة الله البالغة) للدهلوى ـ رحمه الله - ومن (٥ – ٦) من (أحكام المولود) لابن القيم ـ رحمه الله .

٢ ـ ومنها : اتباع داعية السخاوة، وعصيان داعية الشح .

٣ – ومنها : أن النصارى كان إذا ولد لهم ولد صبغوه بماء أصفر، يسمونه المعمودية ، وكانوا يقولون : يصير الولد به نصرانيًا ، وفى مشاكلة هذا الاسم، نزل قوله تعالى : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ ﴾ [البقرة : ١٣٨] . فاستحب أن يكون للحنيفيين فعل بإزاء فعلهم بذلك، يُشعر يكون الولد حنيفيًا، تابعًا لملة إبراهيم؛ وإسماعيل ـ عليهما السلام، وأشهر الأفعال المختصة بهما، المتوارثة فى ذريتهما، ما وقع منه عليه السلام من الإجماع على ذبح ولده، ثم نعمة الله عليه، أن فداه بذبح عظيم، وأشهر شرائعهما الحج الذى فيه الحلق والذبح، فيكون التشبه بهما فى هذا ، تنويهًا بالملة الحنيفية، ونداء أن الولد قد فُعل به ما يكون من أعمال هذه الملة .

٤ ـ ومنها : أن هذا الفعل فى بدء ولادته، يخيل إليه أنه بذل ولده فى سبيل الله ، كما فعل إبراهيم عليه السلام وفى ذلك تحريك سلسلة الإحسان، والانقياد .

٥ ـ أنها قربان يُقرَّبُ به عن المولود : فى أول أوقات خروجه إلى الدنيا، والمولود ينتفع بذلك غاية الانتفاع، كما ينتفع بالدعاء له، وإحضاره مواضع المناسك، والإحرام عنه، وغير ذلك .

٦ ـ أنها تفكّ ارتهان المولود : فإنه مرتهن بعقيقته، قال الإمام أحمد : مرتهن عن الشفاعة لوالديه وقال عطاء بن أبى رباح : مرتهن بعقيقته قال : يحرم شفاعة ولد.

وجعل الله النسيكة عن الولد؛ سببًا لفك رهانه من الشيطان، الذى يعلق به، من حين خروجه إلى الدنيا، وطَعْنه فى خاصرته، فكانت العقيقة فداء، وتخليصًا له من حبس الشيطان له، وسجنه فى أسره، ومنعه له، من سعيه فى مصارع آخرته التى إليها معاده، فكأنه محبوس لذبح الشيطان له بالسكين التى أعدها لأتباعه وأوليائه، وأقسم لربه أنه سيتأصل ذرية آدم إلا قليلاً منهم، فهو بالمرصاد للمولود من حين يخرج إلى الدنيا، فحين يخرج يبتدره عدوه، ويضمه إليه، ويحرص على أن

يجعله فى قبضته، وتحت أسره، ومن جملة أوليائه وحزبه، فهو أحرص شىء على هـذا وأكثر المولـودين مـن أقطاعـه وجنـده ، كـما قـال تعـالى: ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾ [الإسراء : ٦٤] .وقـال: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ ﴾ [سـبأ: ٢٠] فكان المولود بصدد هذا الارتهان، فشرع الله سبحانه للوالدين أن يفكاه بذبح يكون فداه، فإذا لم يذبح عنه بقى مُرْتهنًا به» .

ويبقى السؤال : ما هى الحكمة فى تخصيص اليوم السابع؟

فيجيب الشيخ الدهلوى ـ رحمه الله :

وأما تخصيص اليوم السابع فلأنه :

«لا بد من فصل بين الولادة والعقيقة، فإن أهله مـشغولون بإصـلاح الوالـدة، والولد فى أول الأمر، فلا يكلفون حينئذ بما يضاعف شغلهم، وأيضًا فرب إنسان لا يجد شاة إلا بسعى، ولو كانت فى أول يوم؛ لضاق الأمر عليهم، والسبعة الأيام مـدة صالحة للفصل المعتد به غير الكثير .

وأما إماطة الأذى فللتشبه بالحاج، وقد ذكرنا .

وأما التسمية فلأن الطفل قبل ذلك لا يحتاج أن يسمى» [1] .

«ولا تجوز العقيقة من مال المولود؛ لأن العقيقـة تـبرع، فـإن فعـل ذلـك الـولى ضمن، كما نقله النووى فى المجموع» [2] .

٤ ـ ختان الطفل[3] :

تعريفه : لغة : قطع القلفة، أى : الجلدة التى على رأس الذَّكر .

---

(١) حجة الله البالغة (٢/ ١٤٤) .

(٢) شرح المحتاج (٤/ ٢٩٣) .

(٣) انظر : البخارى ، كتاب (٧٧) باب (٦٣) وكتاب (٧٩) باب (٥١) ومسلماً، كتاب (٢ح٤٩، ٥٠) وأبا داود كتاب (٣٢) باب (١٦) والترمذى كتاب (٤١) باب (١٤) والنسائى كتاب (٨) باب (١، ٧٥) ومسند أحمد (٢/ ٢٢٩ – ٢٣٩ – ٢٨٣ – ١٤٠ – ٤٨٩ ، ٤/ ٢٦٤) .

وأما اصطلاحًا : هو الحرف المستدير على أسفل الحشفة، أى : موضع القطع من الذَّكَر، وهو الذى تترتب عليه الأحكام الشرعية، كما روى الإمام أحمد والترمذى والنسائى عن النبى ﷺ : «إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل» [1] .

ما ورد فى الحض على الختان :

روى الإمام أحمد فى مسنده من حديث عمار بن ياسر قال : قال رسول الله ﷺ : «من الفطرة : المضمضة، والاستنشاق، وقص الشارب، والسواك، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط، والاستحداد [2]، والاختتان» .

وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :«الفطرة خمس : الختان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط» .

وروى أحمد عن شداد بن أوس ﷺ عن النبى ﷺ أنه قال : «الختان سنة للرجال، مكرمة للنساء» [3] .

وهكذا نجد اهتمام الإسلام وحرصه على ختن الصبى [4] والبنت . وذلك يبدأ بعد اليوم السابع، وذلك لما رواه البيهقى عن جابر ﷺ أنه قال : «عقّ رسول الله ﷺ عن الحسن والحسين، وختنهما لسبعة أيام» .

وقال ابن جزىّ : «ويكره الختان يوم الولادة، ويوم السابع، لأنه من فعل اليهود» .

وأول من اختتن هو سيدنا إبراهيم عليه السلام اختتن وهو ابن ثمانين سنة؛ وذلك ما رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة ﷺ: «أن إبراهيم عليه السلام اختتن وهو ابن ثمانين سنة»، وفى رواية : «أنه أول من أضاف الضيف وأول من لبس

---

(١) صحيح : انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١٢٦١) .
(٢) الاستحداد : حلق الشعر الذى يخرج حول الفرج .
(٣) قال ابن جزىّ : سنة مؤكدة عند مالك وأبى حنيفة، وقال الشافعى : فرض .
انظر : القوانين الفقهية لابن جزى .
(٤) قال ابن جزى : يختن الرجال الصبيان ، ويخفض النساء الجوارى .

السراويل، وأول من اختتن» .

واستمر الختان بعده فى الرسل وأتباعهم،حتى بعثة الرسول ﷺ، وإن الختان هو سنة الأنبياء والمرسلين تقتدى بهم البشرية لتحظى بالاتباع السليم .

فقد روى الترمذى والإمام أحمد عن أبى أيوب قال : قال رسول الله ﷺ : «أربع من سنن المرسلين : الختان، والتعطر، والسواك، والنكاح» .

وروى البخارى عن سعيد بن جبير قال : سئل ابن عباس ـ رضى الله عنهما : مثل من أنت، حين قُبض رسول الله ﷺ؟ قال : «أنا يومئذ مختون، وكانوا لا يختنون الرجل حتى يُدرك» .

وفى رواية الحاكم فى مستدركه (٣/ ٥٣٤) : «توفى رسول الله ﷺ وأنا ابن خمس عشرة وقد ختنت» .

ويستحب الدعوة لطعام الختان، وهو «الإعذار» ولا يفعل ذلك فى خفاض النساء للستر[1] .

«ومن آثار السلف الصالح من الصحابة والتابعين فى أمر الختان : ما أورده ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (٢/ ٧٧٦) باب الختان ، نقتطف منه بعض الآثار :

عن نافع قال : كان ابن عمر يُطعم على الختان .

وعن سعيد بن عبد العزيز : أن مكحولاً قال لنافع : كان ابن عمر يُجيب دعوة صاحب الختان إلى طعامه؟ قال : نعم .

وعن القاسم قال : أرسلتْ إلىّ عائشة ـ رضى الله عنها ـ بمائة درهم، فقالت : أطعم بها على ختان ابنك .

وعن عكرمة عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه ختن بنيه، فأرسلنى، فجئتُهُ

(١) انظر : القوانين الفقهية لابن جزى (ص ٢١٤) .

بِلعَّابين فلعبوا، وأعطاهم أربعة دراهم .

وعن عياض بن محمد الرقىّ قال : سألت عبد الله بن يزيد : هل رأيت واثلة بن الأسقع ﷺ؟ قال : نعم، كان فى ختان ابنه حين صنع طعامًا، ودعا الناس إليه، وكان مؤتزرًا بسبتة غليظة، مع صراحيَّتان، فيهما طلاء على الثلث، يسقيه الناس، ويقول : اشربوا بارك الله فيكم .

وقد درج السلف والخلف على إشهار هذه السنة المباركة والاحتفاء بها، وكانوا يتوسعون فى ذلك حتى يضربوا على الدفوف، فعن محمد بن سيرين قال : إن عمر ﷺ كان إذا سمع صوت دُفّ أنكر ، فقالوا : عرس، أو ختان، سكت[1] .

ومن شدة حرص الإسلام على الختان أنه إذا أسلم رجل، ولم يكن مختونًا، وجب عليه الختان، بالإضافة إلى الغسل، وذلك لما رواه أحمد وأبو داود عن عثيم ابن كليب، عن أبيه، عن جده، أنه جاء إلى النبى ﷺ فقال : قد أسلمت قال : «ألق[2] عنك شعر الكفر، واختتن» .

وروى حرب فى مسائله عن الزهرى أن رسول الله ﷺ قال : «من أسلم فليختتن، وإن كان كبيرًا» .

ومن شدة الاهتمام كذلك أنه لا تُقبل صلاة للأقلف ـ غير المختون ـ فقد روى وكيع عن سالم، عن عمرو بن هرم، عن جابر، عن يزيد، عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : «الأقلف لا تُقبل له صلاة ، ولا تؤكل ذبيحته» .

ومن شدة الاهتمام كذلك ما قاله ابن قتيبة[3] فى قوله تعالى : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ﴾ [البقرة : ١٣٨] يريد : الختان، فسماه صبغة؛ لأن

(١) انظر : كتاب العيال (٢/ ٧٨٥) تعليقة د . نجم خلف محقق الكتاب، وعزا الأثر إلى كتاب (مناقب عمر) لابن الجوزى (ص ١٧٩) .
(٢) أى : احلق شعر رأسك .
(٣) تأويل مشكل القرآن (ص ١٤٩) .

النصارى كانوا يَصْبُغُون أولادهم فى ماء، ويقولون : هذا طهرة لهم، كالختان للحُنفاء، فقال الله تعالى : ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾ أى : الزموا صبغة الله، لا صبغة النصارى أولادهم، وأراد بها ملة إبراهيم عليه السلام .

ومن اللطائف الفقهية فى أمر الختان ما ذكره الخطابى : «أما الختان ـ وإن كان مذكورًا فى جملة السنن ـ فإنه عند كثير من العلماء على الوجوب، وذلك أنه شعار الدين، وبه يعرف المسلم من الكافر، إذا وجد المختون بين جماعة قتلى غير مختونين، صُلى عليه، ودفن فى مقابر المسلمين»[1] .

وفى الآونة الأخيرة عقدت مؤتمرات عالمية للنساء، تطاولت فيه على أحكام ختن النساء عند المسلمين، وهذا التطاول نابع من جهلهن بأحكام الشرع، ومن جهل بعض المسلمين بأحكام ختان البنت وطريقته . ولهذا وجب توضيح الأمر للجميع .

إن ختان البنت يتدرج حكمه من الاستحباب إلى الوجوب، حسب الآراء الفقهية، وذلك حسب البلاد الحارة أم الباردة، أو حسب ظهور حجم القطعة التى ستقطع؛ حيث يكون ختان الأنثى بقطع ما يطلق عليه الاسم من الجلدة التى كعرف الديك، فوق مخرج البول، والسنة فيه ألا تقطع كلها بل جُزْء منها[2] : وذلك لحديث أم عطية ـ رضى الله عنها ـ أن امرأة كانت تختن بالمدينة، فقال لها النبى ﷺ : «لا تنهكى؛ فإن ذلك أحظى للمرأة، وأحب إلى البعل» رواه أبو داود[3] .

فقد أظهر النبى ﷺ علة ختان البنت وكيفية مقداره فقوله ﷺ : «لا تنهكى» يدعوها لعدم الأخذ الكامل وإنما شيئًا قليلاً، وهذا الشىء القليل لمن كان فى جوّ المدينة المنورة الحارة، فلو كان فى المناطق الباردة فقد لا تحتاج إلى الأخذ والقطع، ولا يجوز فى أى حال من الأحوال الأخذ الكثير الذى يُذهب بالبنت بحيث لا تعود

---

(١) انظر: تربية الأولاد فى الإسلام .
(٢) المجموع للنووى (١/ ٣٠٢)، والبناية على الهداية (١/ ٢٧٣) .
(٣) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (١٩/ ٢٨) .

تحس بالجنس .

فالموضوع نسبى حسب البلاد وحسب حجم القطعة اللحمية، وأن الهدف منه (أحظى للمرأة، وأحب للبعل) وليس أمرًا آخرًا ـ والله أعلم .

ثالثًا : عمل يوم الأربعين للنفساء :

وتطهر النفساء بعد مرور أربعين يومًا من ولادتها، فتغتسل وتتطيب، وكانت نساء الصحابة يساعدن النفساء على التطيب والادهان بالوَرْس :

روى أحمد وأبو داود والترمذى والدارقطنى والحاكم والبيهقى[1] عن أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ زوج النبى ﷺ ـ قالت : كانت النُّفَسَاءُ تقْعد بعد نفاسها أربعين يومًا، وكانت إحدانا تطلى الورس على وجهها من الكلف» .

قال أبو حنيفة اللغوى : الورس يُزرع زرعًا، وليس ببر ، ولستُ أعرفه بغير أرض العرب، ولا من أرض العرب بغير بلاد اليمن . وقال ابن القيم ـ رحمه الله : وقوته فى الحرارة واليبوسة فى أول الدرجة الثانية، وأجوده الأحمر، اللين فى اليد، القليل النخالة، ينفع من الكلف؛ والحكة، والبثور الكائنة فى سطح البدن إذا طُلى به، وله قوة قابضة صابغةٌ، وإذا شُرب نفع من الوَضح، ومقدارُ الشربة منه وزنُ الدرهم» .

رابعًا : الرضاعة إلى الحولين والفطام[2] :

إن الإسلام حين ربط الرجل والمرأة برباط الزوجية، وجمعهما فى مستقر واحد هو الأسرة، حمّل كلا منهما المسؤولية؛ لتكوين اللبنة الصالحة، فى بناء المجتمع الصالح، وجعل لكل من الزوجين واجبات وحقوقًا، فعلى الزوج الإنفاق، وعلى الزوجة الإرضاع، إرضاع طفلها المولود، الذى هو بحاجة إلى أن تتلمس يداه صدر

(١) انظر : زاد المعاد (٤/ ٤٠٢ ـ ٤٠٣) مع هامش التحقيق .

(٢) يكفى أن تعلم أنه يوجد فى الكتب التسعة (٣٨١) واحد وثمانون وثلاثمائة حديث عن الرضاعة، لما لها من أهمية ، فذكرت أهم أبوابها ، وبالله التوفيق .

أمه؛ ليجد المتعة النفسية، والراحة العاطفية، ويتغذى لبن أمه مع الحنان الدافق، ويمصّ حليب أمه من ثدييها، اللذين هيأهما الخالق جل وعلا لذلك، وهيأ المعمل الذى يولد الحليب فى صدر الأم؛ فقيرة كانت أو غنية، وذلك للحفاظ على نشأة الطفل الصغير؛ والمولود الجديد؛ فى هذا العالم الغريب .

وإن رسول الله ﷺ قد رضع رضاعة طبيعية من مرضعاته، كما أنه ﷺ كان يسترضع لأولاده، وكانت زوجته خديجة رضى الله عنها تُعِدُّ ذلك قبل ولادها، كما ذكره ابن سعد (١/ ١٣٣) عن ابن إسحاق .

وفى تاريخ دمشق لابن عساكر ق١/ ١٠٥ : كانت خديجة رضى الله عنها إذا ولدت ولدًا دفعتُه إلى من يُرضعه، فلما ولدت فاطمة لم يرضعها أحدٌ غيرها [١] .

لقد كانت عادة العرب الإرضاع، بل إنها عادة الإنسانية جميعًا من قبل، فأخبر القرآن عن سيدنا موسى عليه السلام ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ ﴾ [القصص : ١٢] ونشأ رسول الله ﷺ على الإرضاع، فأرضعته حليمة السعدية، فأصبحت بذلك أمه من الرضاع، وجعل الله تعالى لهذا الإرضاع أحكامًا شرعية، فمنها : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ ﴾ [النساء : ٢٣] . وقوله ﷺ: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب» رواه مسلم .

ولم يعرف الحليب والإرضاع الاصطناعيان إلا فى هذا العصر، الذى ما لبث أن عاد ينادى، وبصراخ شديد للعودة إلى الإرضاع الطبيعى . والمسلم الملتزم بالشرع الإسلامى لم يكن فى حاجة إلى التنقل من الإرضاع الطبيعى إلى الاصطناعى، ثم الطبيعى، فهو يستقى من منهج الله تعالى، ويسير عليه، حتى جاء الخطاب القرآنى إلى الأم يدعوها بالاهتمام برضاعة طفلها من صدرها، فى أحلك الظروف الصعاب

(١) انظر : الجامع فى السيرة النبوية (١/ ٢٠٧) .

على الرغم من سوء العلاقة مع زوجها، وحتى بعد طلاقها من زوجها . إنه الاهتمام بالطفل، والتشريع الربانى للطفل، والعدل الإلهى فى حق هذا الطفل : ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .

ذكر البخارى ـ كتاب النفقات ـ عن الزهرى قال : نهى الله أن تُضارَّ والدةٌ بولدها، وذلك أن تقول الوالدةُ : لستُ مُرضعته، وهى أمثل له غذاء، وأشفق عليه، وأرفق به من غيرها، فليس لها أن تأبى بعد أن يعطيها من نفسه، ما جعل الله عليه، وليس للمولود له أن يُضار بولده، والدته فيمنعها أن ترضعه ضرارًا لها إلى غيرها، فلا جناح أن يسترضعا، عن طيب نفس الوالد والوالدة» . انتهى .

وفى ذلك يقول الله تعالى : ﴿ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ [الطلاق : ٦] .

«إن على الوالدة المطلقة واجبًا تجاه طفلها الرضيع، واجبًا يفرضه الله عليها، ولا يتركها فيه لفطرتها، التى قد تفسدها الخلافات الزوجية، فيقع الغرم على هذا الصغير . إذًا يكفله الله ويفرض له فى عنق أمه الإرضاع ، وتأخذ من أبيه الأجر، فالله أولى بالناس من أنفسهم، وأبرّ منهم، وأرحم من والديهم، والله يفرض للمولود على أمه أن ترضعه حولين كاملين؛ لأنه ـ سبحانه ـ يعلم أن هذه الفترة هى المثلى من جميع الوجوه : الصحية، والنفسية للطفل.

(لمن أراد أن يتم الرضاعة) : وتثبت البحوث الصحية والنفسية اليوم أن فترة عامين ضرورية؛ لينمو الطفل نموًا سليمًا، من الوجهتين الصحية والنفسية، ولكن نعمة الله على الجماعة المسلمة لا تتركهم، حتى يعلموا هذا من تجاربهم ، فالرصيد الإنسانى من ذخيرة الطفولة؛ لم يكن ليترك يأكله الجهل، كل هذا الأمد الطويل، والله رحيم بعباده، وبخاصة بهؤلاء الصغار الضعاف، المحتاجين للعطف والرعاية [1] .

(١) الظلال (٢/ ٣٧١) (ط ٤) .

ولم يكتف الإسلام أن يحافظ على رضاعة الطفل بعد طلاق أبويه، بل تعدى ذلك بأن أخّر إقامة الحد على أمه الزانية، وذلك حتى تنتهى رضاعته من ثدى أمه، إنها الرحمة بالطفل، والحرص عليه، أن ينشأ قوى الجسم، صحيحًا غير سقيم .

روى الإمام أحمد فى مسنده (٥/ ٣٤٨) قصة المرأة الغامدية التى زنت، فقال لها النبى ﷺ : «ارجعى حتى تلدى»، فلما ولدت جاءت بالصبى تحمله، فقالت : يا نبى الله، هذا قد ولدت، قال : «فاذهبى، فأرضعيه حتى تفطميه»، فلما فطمته جاءت بالصبى، فى يده كسرة خبز، قالت : يا نبى الله، هذا قد فطمته، فأمر النبى ﷺ بالصبى فدفع إلى رجل من المسلمين، وأمر بها، فحفر لها حفرة .. وذكر حديث الرجم .

وأكد الطبيب البارع ابن سينا على أهمية الرضاعة الطبيعية بقول: «إنه يجب أن يرضع ما أمكن من لبن أمه، فإن فى إلقامه ثدى أمه عظيم النفع جدًا فى دفع ما يؤذيه» .

أما الطبيب البلدى فقال : «فالأخلق بلبن الأم أن يكون أوفق الألبان كلها لسائر الأطفال، إن لم يكن لها علة، أو سبب يفسد اللبن» [١] .

ويضيف أن الإرضاع فيه : «سلامة الأم والطفل، ونفع له ولها، وحفظ لصحتها وصحته» .

وهنا نجد أن الطبيب البلدى قد سبق أطباء اليوم؛ فى إثبات الرضاعة من ثدى الأم، حيث يقيها عددًا من الأمراض منها سرطان الثدى .

وإن عمر بن الخطاب ﷺ كان لا يفرض [٢] لمولود حتى يُفطم، فتراجع عن

(١) تدبير الحبالى والأطفال والصبيان : تأليف أحمد بن محمد بن يحيى البلدى، تحقيق : الدكتور محمود الحاج قاسم محمد، وزارة الثقافة العراقية (ص ١٨٦) .

(٢) فى عصرنا يسمى علاوة ، أى : زيادة الراتب الشهرى للموظف الحكومى، عندما يرزق بمولود، إلا أن عمر ﷺ كان يفرض مالاً لوالده سواء كان موظفًا حكوميًا، أو غير حكومى، وهذا سبق حضارى لعمر ﷺ .

ذلك، وفرض له من حين ولادته، حتى تطول فترة الإرضاع ، فبينما هو يطوف ذات ليلة بالمصلى، بكى صبى، فقال لأمه : أرضعيه، فقالت : إن أمير المؤمنين لا يفرض لمولود حتى يفطم، وإنى فطمته، فقال عمر : إنْ كدتُ لأن أقتله؛ أرضعيه، فإن أمير المؤمنين سوف يفرض له، ثم فرض بعد ذلك للمولود حين يولد [1] . وبذلك تحقق وعد الله تعالى : ﴿ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ [الإسراء : ١٣] من اللحظة الأولى .

وللرضاعة من ثدى الأم مزايا عديدة ومتنوعة :

إن الطفل تكوَّن من غذاء أمه وهو جنين، فهو يتابع غذاءه بحليب أمه وهو رضيع، فالحليب الطبيعى هو امتداد لتكوينه، وهذا من أقوى الأسباب للرضاعة الطبيعية . وهناك حكم ذكرها بعض الأطباء منها :

١ ـ فالطفل يرضع لبنًا نظيفًا معقمًا .

٢ ـ ليس باردًا، ولا حارًا .

٣ ـ متوافرًا فى كل الأوقات .

٤ ـ لا يفسد بالتخزين .

٥ ـ لا يتناسب مع معدة الرضيع .

٦ ـ يفى باحتياجات الطفل الرضيع .

٧ ـ يُضفى على الطفل مناعة خاصة ضد الجراثيم .

٨ ـ الرضاعة المباشرة من ثدى الأم تمنع حدوث البدانة فى الأطفال، وفى الأمهات[2].

---

(١) مصنف عبد الرزاق (٥/ ٣١١) .

(٢) ومن فوائده أيضًا : يعود الرحم إلى وضعه وحجمه الطبيعى بسرعة أثناء الرضاعة، ولولا ذلك لأصيبت الرحم بسرعة بالإنتان وحمى النفاس، والإرضاع المتواصل من الثدى هو أحد العوامل الطبيعية لمنع الحمل . عن كتيب (أمومة وطفولة فى السنة الأولى)، ويسمى أيضًا (كتاب باونتى للعناية بالطفل) ط ١٢ .تأليف عدة أطباء بريطانيين .

٩ ـ والرضاعة من ثدى الأم تنمى الحنان، وتقوى الرابطة العاطفية بين الأم ووليدها [١] .

وعملية الرضاعة عندما تصاحبها النية الحسنة، وطلب مرضاة الله، فإنها تؤتى أكلها كل حين بإذن الله، ولهذا روى أن عمرو بن عبد الله قال لامرأته التى ترضع ابنًا لها : «لا يكونن رضاعك لولدك، كرضاع البهيمة ولدها، قد عطفت عليه من الرحمة بالرحم، ولكن أرضعيه، تتوخين ابتغاء ثواب الله، وأن يحيا برضاعك خلق، عسى أن يوحد الله، ويعبده» [٢] .

وحليب الرضاعة له تأثير روحى ونفسى على الطفل؛ لذا ورد فى القرآن عن طفولة سيدنا موسى : ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ ﴾ [القصص : ١٢] فكان تأييد الله تعالى لنبيه وهو صغير أن يُرجعه لترضعه أمه .

أما نبينا محمد ﷺ فقد اختار له طفولة البادية، ورضاعة حليمة السعدية؛ لينشأ عوده قويًا صلبًا، ويستنشق الهواء العليل فى البادية، وليكون فى رعاية الله منذ اللحظة الأولى من حياته، وحتى لا يكون لأحد عليه منّة حتى حليمة، فإن بركاته زادت عليها [٣] .

وقد كان السلف الصالح يوصون الآباء والأمهات باختيار المرضعات الصالحات، وذلك لتأثير حليب المرضع صلاحًا وطلاحًا على نفس الطفل .

والسعيد من يحظى بالمرضعة الصالحة، فإن كانت الأم صالحة فقد ازداد الكمال، والهناء للطفل، فإن كانت حافظة لكتاب الله أو لسور وأجزاء منه فترضعه الحليب وهى ترتل القرآن ، أو تذكر الله تعالى ، أو تصلى على النبى ﷺ، وتستحضر نية صالحة

(١) مقال (اهتمام الإسلام بتغذية الطفل) للدكتوى فاروق مساهل، مجلة الأمة القطرية، عدد (٥٠/ ١٤٠٥) .

(٢) نصيحة الملوك للماوردى (ص ١٦٦) .

(٣) سيأتى بيان ذلك فى الفصل الثالث ـ المبحث الثانى .

فى إرضاعه؛ ليكون فى المستقبل وفيًا، صادقًا، محبًا، مخلصًا لله، ولرسوله، وللمؤمنين .

أخرج أبو نعيم فى الحلية (٢/ ١٤٧) وأسنده قال : كان الحسن (البصرى) ابنًا لجارية أم سلمة زوج النبى ﷺ، فبعثت أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ جاريتها فى حاجتها، فبكى الحسن بكاءً شديدًا، فرقَّت عليه أم سلمة ﷺ فأخذته، فوضعته فى حجرها، فألقمته ثديها؛ فدرَّ عليه، فشرب منه، فكان يقال : إن المبلغ الذى بلغه الحسن من الحكمة؛ من ذلك اللبن الذى شربه من أم سلمة زوج النبى ﷺ .

وكان الأعمش يقول : ما زال الحسن البصرى يعى الحكمة حتى نطق بها، وكان إذا ذكر عند أبى جعفر محمد بن على بن الحسين قال : ذاك الذى يشبه كلامه كلام الأنبياء .

ومن فوائد الرضاع الطبيعى العظيمة الخالدة : توسيع باب الرحمة على المرأة التى لا تنجب لأى سبب كان ، فترضع أختها بعض الأطفال، فتصبح خالتهم من الرضاع، فيضفون عليها حيوية الأولاد ، ويدخلون عليها فى كبرهم لمساعدتها، إذ القاعدة النبوية قوله ﷺ : «يحرُم من الرضاع ما يحرُم من النسب» . رواه مالك وغيره .

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ كان يدخل عليها من أرضعته أخواتُها وبناتُ أخيها، ولا يدخل عليها من أرضعه نساءُ إخوتها . رواه مالك .

روى البخارى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن أفلح أخا القُعيس جاء يستأذن عليها، وهو عمها من الرضاعة، بعد أن نزل الحجاب، فأبيت أن آذن له، فلما جاء رسول الله ﷺ أخبرته بالذى صنعت، فأمرنى أن آذن له . ورواه مسلم والترمذى والنسائى وأبو داود ومالك .

وقد اعتبر النبى ﷺ شهادة المرضعة كافية لإثبات الرضاعة، وتطبيق أحكامها من حرمة زواج الأخ بأخته من الرضاعة : روى البخارى ـ كتاب الشهادات ـ عن

عُقبة بن الحارث أنه تزوج ابنةً لأبى إهَاب بن عزيز، فأتتهُ امرأةٌ، فقالت : قد أرضعت عقبة، والتى تزوج، فقال لها عقبة : ما أعلم أنك أرضعتنى، ولا أخبرتنى، فأرسل إلى آل أبى إهاب يسألهم، فقالوا : ما علمنا أرضعت صاحبتنا، فركب إلى النبى ﷺ بالمدينة، فسأله، فقال رسول الله ﷺ : «كيف وقد قيل؟! » ففارقها، ونكحت زوجًا غيره .

تلك عظمة الإسلام التشريعية : أنه دين الطهارة والعفة، والمحافظة على النسب، وهذا لا يوجد إلا عند المسلمين فقط، وفى ذلك عبرة لأولى الألباب من الأمم .

وعند عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ كان يقول : لا رضاعة إلا لمن أرضع فى الصغر، ولا رضاعة لكبير .

وقال سعيد بن المسيب : لا رضاعة إلا ما كان فى المهد، وإلا ما أنبت اللحم والدم . رواهما مالك .

وقد قال الحنفية والمالكية : بالرضاعة الواحدة ما دامت الرضعة فى فترة الحولين .

ومن عجائب الاهتمام برضاعة الطفل : أن يجيز بعض الفقهاء الإرضاع والأم فى الصلاة ساترة ثديها، حتى لا تتوقف الوجبة الغذائية لهذا الصغير، وحتى لا تكون فريضة عبادة الصلاة عائقًا فى قطع رضاعة الصغير الواجبة، إنه اجتهاد وجيه .

قال ابن المنذر فى كتابه (الأوسط) (٣/ ٢٧٨) : «واختلفوا فى المرأة ترضع صبيها وهى تصلى، فقال الأوزاعى مرة : قطعت صلاتها، وقال مرة : إن كان من ضرورة فلا بأس به، وقال أبو ثور : إن لم ينكشف ثديها، فصلاتها تامة» .

ومن الأمور المكروهة أثناء الإرضاع : حمل المرأة وهى مرضع، فتفسد لبنها

بحملها، وبالتالى يُحرم الطفل الرضيع من الإرضاع الطبيعى، وهذا ما حذر منه ﷺ، فعن ابن مسعود قال : كان رسول الله ﷺ يكره عشر خلال، وذكر منها «... وفساد الصبى» . أخرجه أبو داود والنسائى . وفساد الصبى : هو المسمى بالغيلة، وهو حمل المرأة المرضع، فيفسد لبنها .

وبعد انتهاء مُدة الرضاع لابد من الفطام بالتدريج، شيئًا فشيئًا، ورويدًا رويدًا لينتقل الطفل إلى الطعام، وهنا لابد من حزم فى رحمة، وجزم فى عطف، وصبر فى تؤدة، فالطفل سيصيح ويبكى ويتمرد، فكل ذلك يحتاج إلى صدر حليم، ونفس واسعة، ورفق وأناة .

دخل الحافظ أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطى يومًا داره، فسمع بكاء ولد له رضيع، فقال : ما له ؟! فقالوا : فطمناه ، فكتب على مهده :

منعوه أحب شىء إليه ... من جميع الورى ومن والديه
منعوه غذاءه ولقد كان ... مباحًا له وبين يديه
عجبًا منه ذا على صغر السن ... هوى فاهتدى الفراق إليه[1]

خامسًا : حكم بول الطفل الرضيع، وكيفية تطهيره :

روى الإمام مسلم فى صحيحه عددًا من الأحاديث النبوية فى كيفية غسل بول الطفل الرضيع، فأورد :

١ ـ عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن النبى ﷺ كان يؤتى بالصبيان، فيبرك عليهم، ويحنكهم، فأتى بصبى فبال عليه، فدعا بماء ، فأتبعه بوله،[2] ولم يغسله .

٢ ـ وفى رواية لها أيضًا قالت : أُتى رسول الله ﷺ بصبى يرضع، فبال فى حجره،

(١) انظر : مقدمة (المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق) للحافظ الخرائطى، تحقيق : محمد مطيع الحافظ .
(٢) وفى رواية البخارى : فبال على ثوبه فدعا بماء ، فأتبعه إياه.

فدعا بماء فصبه عليه .

٣ ـ وعن أم قيس بنت محصن أنها أتت رسول الله ﷺ بابن لها، لم يأكل الطعام، فوضعته فى حجره، فقال : فلم يزد على أن نضح بالماء . وفى رواية : فدعا رسول اللهﷺ بماء فنضحه على ثوبه، ولم يغسله غسلاً .

فذهب الشافعى إلى النضح، والحنفية والمالكية إلى الغسل، وأما كون بول الصبى نجسًا، فهذا مجمع عليه، كما نقل النووى ـ رحمه الله [1] .

وعن أم الفضل (لبابة بنت الحارث زوج العباس بن عبد المطلب وأخت ميمونة زوج النبى ﷺ) قالت : رأيت كأن فى بيتى طيفًا من رسول الله ﷺ، فذكرت ذلك ، فقال : « خيرٌ إن شاء الله، تلد فاطمة غلامًا تكفلينه بلبن ابنك قثم» قالت : فولد حسنًا، فأعطانى فأرضعته، ثم جئت به فأجلسته فى حجره؛ فبال عليه، فضربت بيدى على كتفيه، فقال : «ارفقى! أصلحك الله ـ أو رحمك الله ـ أوجعت ابنى» . قالت : فقلت : اخلع إزارك، والبس ثوبًا غيره حتى أغسله، قال : «إنما يغسل بول الجارية، وينضح بول الغلام» . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (٢/ ٨٧٤) وقال محققه : إسناده حسن، ورواه أبو داود وابن ماجه وأحمد وابن خزيمة والطبرانى والحاكم، وصححه، وأقره الذهبى، والبيهقى .

وعن على ﷺ عن النبى ﷺ قال : «يرش بول الغلام، ويغسل بول الجارية» . قال قتادة : فيهما جميعًا ما لم يأكلا الطعام، فإذا أكلا الطعام غسلا جميعًا . رواه ابن أبى الدنيا (٢/ ٨٧٦)، وقال محققه : حديث حسن .

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : بال ابن الزبير على النبى ﷺ فأخذته أخذًا عنيفًا، فقال : «دعيه، فإنه لم يطعم الطعام، ولا يضر بوله» . رواه ابن أبى الدنيا (٢/ ٧٧٨)، وقال محققه : إسناد ضعيف .

---

(١) شرح صحيح مسلم ، باب : حكم بول الطفل الرضيع ، وكيفية غسله .

وعن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أبيه قال : كنت عند رسول الله ﷺ فجىء بالحسن، أو الحسين، فبال عليه، فأراد بعضُ القوم أن يتناوله، فقال : «ابنى! ابنى!»، فلما قضى بوله صبَّ عليه الماء . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (٢/ ٨٧٨)، وقال محققه : إسناده حسن .

سادسًا : جواز اصطحاب الأم رضيعها إلى المسجد :

يجوز للأم أن تحمل رضيعها للذهاب إلى المسجد؛ حتى تصلى فى جماعة، إذا رغبت، وأذن لها زوجها، ودليل ذلك أن رسول الله ﷺ كان يخفف صلاته، ويسرع فيها؛ رأفة ورحمة بالصغير، مخافة أن تفتن أمه بالصلاة، وهى تسمع بكاءه، فروى عبد الرزاق فى مصنفه عن ابن جريج قال: أخبرنى عطاء أنه بلغه أن النبى ﷺ قال : «إنى لأخفف الصلاة؛ أسمع بكاء الصبى؛ خشية أن تفتن أمه» . وروى أنه ﷺ قرأ بالمعوذتين فى صلاة الفجر يومًا، لما فرغ قالوا : أوجزت! فقال ﷺ : «سمعت بكاء صبى فخشيت على أمه أن تفتن» . قال الكاسانى فى «البدائع» معلقًا : «دل أن الإمام ينبغى أن يراعى حال قومه، ولأن مراعاة حال القوم سبب لتكثير الجماعة، فكان ذلك مندوبًا إليه» .

وعن أنس بن مالك قال : «كان رسول الله ﷺ يسمع بكاء الصبى مع أمه، فيقرأ بالسورة القصيرة، أو الخفيفة». رواه ابن خزيمة فى صحيحه (٣ / ٥٠) قال المحقق مصطفى الأعظمى : ورواه مسلم .

وعنه أيضًا : أن النبى ﷺ قال : «إنى لأدخل فى الصلاة، فأريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبى، فأتجوز فى صلاتى، مما أعلم من وجد أمه، من بكائه» . رواه ابن خزيمة فى صحيحه (٣ / ٥٠) ورواه البخارى ومسلم .

وفى رواية لأحمد (٣ / ١٨٨) عن أنس ﷺ قال : سمع النبى ﷺ نداء صبى وهو فى الصلاة؛ فخفف، فظننا إنما فعل ذلك رحمة للصبى، إذ علم أن أمه معه فى الصلاة» .

بل إن رسول الله ﷺ ليحمل الطفل الصغير فى الصلاة المكتوبة : قال ابن المنذر فى كتابه (الأوسط) (٣ / ٢٧٧) : «وللمرء أن يحمل الصبى فى الصلاة المكتوبة والتطوع . ثبت أن نبى الله ﷺ حمل أمامة ابنة أبى العاص فى الصلاة، ثم روى بسنده عن أبى قتادة أن رسول الله ﷺ صلى بهم، وعلى عنقه أمامة ابنة أبى العاص، فإذا ركع وضعها، وإذا قام حملها» (١) . وبهذا قال الشافعى، وأبو ثور .

فالطفل الرضيع بحاجة إلى لمسة حانية، وذراع يحمله؛ ليتحسس والديه وأجداده، فهو يتعرف على العالم الخارجى، ولم يمنع الرسول ﷺ أن يحمله وهو فى الصلاة . فأى اهتمام عظيم يبلغ مثل الاهتمام النبوى بالطفل؟! وأىّ عظمة فى القدوة الصالحة أعظم من الاقتداء بالرسول ﷺ فى حمل الطفل فى الصلاة؟!

وهكذا تمتزج العبادة بالعبادة بلا انفصال فى المنهج النبوى، عبادة الصلاة، وعبادة المودة والرحمة بالصغير، وهكذا يتعلم الأعراب الغلاظ فى الصحراء من رسول الإنسانية معانى اللطف بالصغير، والرحمة به، والمؤانسة لمشاعره .

سابعًا : كراهية اصطحاب الطفل إلى المسجد فى مرحلة عدم تعوّده ضبط التبول والتبرز :

فى هذه المرحلة حيث لا يستطيع الطفل قضاء حاجته بنفسه، ولا أن يذهب إلى الحمام لقضاء حاجته، ولا يستطيع أن يعبر لأحد والديه بحاجته للخلاء؛ فإنه لا يؤخذ إلى المسجد، بل إن رسول الله ﷺ نهى الآباء والأمهات أن يأخذوا الطفل فى هذه المرحلة إلى المسجد .

روى ابن ماجه وعبد الرزاق فى مصنفه عن واثلة بن الأسقع أن النبى ﷺ قال : «جنبوا مساجدكم : صبيانكم ... » الحديث وسنده ضعيف .

فإذا اضطر أحد الوالدين لدخول المسجد والصلاة فيه، فإن الأفضل

(١) قال محقق كتاب الأوسط د . صغير حنيف : أخرجه مسلم، وابن خزيمة .

والأحسن، والأهنأ لهما وللطفل، أن يُعرض الطفل على بيت الخلاء فى المسجد (الحمام) ليفرغ مخزونه من البول والغائط، فإن ذلك حيطة له من أن يستعجل عليه البول والغائط داخل المسجد، كما أنه راحة واطمئنان للوالدين ـ والله أعلم .

ثامنًا : حق الحضانة للأم :

«إن تربية النشء، والعناية بهم فى حال الصغر، هو ما يعرف فى الفقه بالحضانة، فإن النساء عليه أقدر من الرجال، لما فُطرن عليه من مزيد العطف والحنان والصبر؛ ولهذا قُدم النساء فيه على الرجال، فكانت الأم مقدمة فيه على الأب ومن وراءه؛ والجدة مقدمة فيه على الأب والجد ومن وراءهما من الرجال»[1].

روى أبو داود والحاكم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن امرأة قالت : يا رسول الله، إن ابنى هذا كان بطنى له وعاء، وثديى له سقاء، وحجرى له حواء، وإن أباه طلقنى، وأراد أن ينزعه منى، فقال : «أنت أحق به، ما لم تنكحى» .

تاسعًا : حق الولاية للأب « ولى أمر الطفل »[2] :

«إن أمور رعاية الأولاد، والإشراف عليهم، وإدارة مالهم وتأديبهم، وتوجيههم إلى حرفة، وتعليمهم، وكذلك أمور القضاء، وإقامة الحدود، وهو ما يعرف فى الفقه بـ : «الولاية» فإن الرجال عليها أقدر من النساء، لما فُطروا عليه من القوة والشدة والثبات، ولهذا قُدم الرجال فيه على النساء، وحكمٌ لا حق للنساء فيه، مع غناء الرجال» .

وبذلك ظهرت عدالة الإسلام تجاه الطفل الصغير الذى انفصل والداه عن بعضهما، حيث نظر الإسلام إلى مصلحة الصغير أين هى، فيكون مع الأم أو الأب، فحتى السابعة للصبيان، والتاسعة للبنات يكون مع الأم؛ لأنه بحاجة إلى الرعاية البيتية، والعناية الأمومية، والحب والعطف والحنان، حتى إذا خرج من البيت، وبدأ يغدو إلى المدرسة، فإنه بحاجة إلى ولاية أمام الآخرين، فيحتاج الطفل إلى رجل،

(١) انظر الموضوع ملخصًا ومرتبًا بشكل فقهى فى كتاب (أحكام المرأة فى الفقه الإسلامى) للدكتور أحمد الحجى الكردى (ص ١٤٩، ١٥٠) .
(٢) المصدر السابق .

أى : إلى معونة أبيه أكثر من معونة أمه، ولعل كذلك من الحكم فى تقسيم الإسلام لتلك المسؤولية أن يشعر الزوجان المطلقان ضرورة الرجوع لبعضهما، بأن يكون أطفالهم رسل حب يتأجج، وحث القلوب المتنافرة إلى التقارب، وعلى كل حال : فالتشريع الإلهى لا يحابى أمًا وأبًا .

عاشرًا: بكاء الطفل وأسبابه :

١ ـ بكاء الطفل عبادة :

عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ رفعه : «بكاء الصبى إلى شهرين شهادة أن لا إله إلا الله، وإلى أربعة أشهر الثقة بالله، وإلى ثمانية أشهر الصلاة على النبى ﷺ، ولسنتين استغفار لوالديه، وإذا استسقى أنبع الله له من ضرع أمه عينًا من الجنة، فيشرب، فيجزئه من الطعام والشراب» أخرجه الديلمى بسند ضعيف .

وفى لفظ لغيره : «لا تضربوا أطفالكم على بكائهم سنة، فإن أربعة أشهر منها يشهد أن لا إله إلا الله، وأربعة أشهر يصلّي عليَّ، وأربعة أشهر يدعو لوالديه، وفى آخر بكاء الصبى فى المهد أربعة أشهر توحيد، وأربعة أشهر صلاة على نبيكم، وأربعة أشهر استغفار لوالديه »[١] .

٢ – بكاء الطفل من مرض ، أو وجع ، أو من عين حاسدة :

روى الإمام مالك فى الموطأ عن عروة بن الزبير ﷺ أن رسول الله ﷺ دخل بيت أم سلمة، وفى بيتها صبى يبكى، فذكروا أن به العين، فقال رسول الله ﷺ : «ألا تسترقون له من العين ؟!» .

٣ ـ بكاء الطفل لاحتياجه الرضاعة :

عن أبى عمرو محمد بن مِهْزَم قال : كانت أم الحسن البصرى (واسمها خيرة، وهى

(١) انظر : القول البديع فى الصلاة على الحبيب الشفيع، للحافظ السخاوى (ص ٦٠) .

مولاة أم سلمة زوج النبى ﷺ) تدخل على أم سلمة فتبعثها فى الحاجة، فيبكى الحسنُ ـ وهو صغير ـ فتُسْكتُه أم سلمة بثديها . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (١/ ٤١٢) .

٤ ـ أجر من يُسكت الطفل الباكى :

عن سعيد بن المُسَيَّب قال : اليتيم إذا بكى اهتز له العرش، فيقول الله عز وجل : من أبكى اليتيم الذى غَيَّبْتُ أباه؟! قالوا : أنتَ العليم الحكيم .

قال : يا ملائكتى، من سكّته برضاه أعطيتُه من الجنة حتى رضاه . رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (٢/ ٨١٦) .

وعن أبى الدرداء قال : «اتقوا دمعةَ اليتيم، ودعوة المظلوم، فإنهما يسيران بالليل والناسُ نيام» .

٥ ـ المسارعة إلى الطفل عند بكائه :

روى ابن أبى شيبة فى مصنفه (١٢/ ٩٩) عن يحيى بن أبى كثير : أن النبى ﷺ سمع بكاء الحسن والحسين، فقام فَزِعًا، فقال : «إن الولد فتنة، لقد قمتُ إليه وما أعقل» .

٦ ـ بكاء الصغير تدريب لحباله الصوتية :

ولعل فى بكاء الصغير، وهو الطرى الندى فى كافة أعضائه، تدريبًا لحباله الصوتية حتى تقوى، وتنشيطًا لدورته الدموية، وإثباتا منه لوجوده فى عالم الواقع، وذلك حتى إذا حصل له طارئ أو مفاجئ أو إزعاج داخلى تعلم من حوله ـ بفضل بكائه ـ السرعة نحوه، وذلك لإنقاذه من وضع مزعج بالنسبة إليه، أو ألم داخلى يعانيه، فالتدريب له فى أوقات الرخاء والراحة، حتى يستخدم تلك الحنجرة فى الأوقات الصعبة والخطرة . والله أعلم .

حادى عشر : تنقيز (ترقيص) الطفل ومداعبته بالأناشيد :

قام رسول الله ﷺ بترقيص سبطيه على صدره الشريف، وإسماعهم كلاما بنغمات وقافية، فقد أخرج البخارى فى الأدب المفرد عن أبى هريرة ﷺ قال : سمع أذناى هاتان، وبصر عيناى هاتان رسول الله ﷺ، أخذ بيديه جميعًا بكفّى الحسن ـ أو الحسين ـ صلوات الله عليهما [1] ـ وقدميه على قدم رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ يقول : «ارْقَه»، قال : فرقى الغلام حتى وضع قدميه على صدر رسول الله ﷺ، ثم قال رسول الله ﷺ : «افتح فاك» ثم قَبّله، ثم قال : «اللهم أحبَّه فإنى أحبُّه» وزاد فى الإصابة :

«ارْقه حزقة حُزقَّة، ترقَّ عين بقَّة» وأخرج الطبرانى . فانظر إلى النشيد النبوى مع الطفل : حُزقه حزقه وتكرير المقطع ثم «ترقّ عين بقّه» .

وأما ترقيص النبى ﷺ وهو صغير، فلقد كانت أخته من الرضاعة الشيماء بنت الحارث واسمه حذافة، فكانت تحتضن النبى ﷺ مع أمها، وترقصه وتنشد :

يا ربنا أبق لنا محمدا
حتى أراه يافعًا وأمردا
ثم أراه سيدا مُسوَّدا
واكبت أعاديه والحُسَّدا [2]

فترقيص الطفل وإنشاده بالكلمات المحببة مطلب نبوى .

أورد ابن أبى الدنيا فى كتابه القيم النفيس (العيال ١/ ٤٣١) فصلاً تحت عنوان : بابُ تنقيز الولدان، ومداعبتهم، فقال :

---

(١) اقتداء بالصلوات الإبراهيمية : (اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد) رواه مسلم وغيره، فالمسلم فى كل صلاة يصلى على النبى ﷺ وآله .

(٢) انظر : الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر ٤/ ٣٣٦، ط. دار الكتاب العربى .

١ ـ عن عقبة بن الحارث قال : رأيت أبا بكر ﷺ يحمل الحسن بن علي ـ رضى الله عنهما ـ يقول :

بأبي شِبْهُ النبي ... ليس شبيهًا بعلي

وعلي ـ كرم الله وجهه ـ معه يتبسم .قال محققه : ورواه أحمد (١/ ٨) .

٢ ـ وعن عروة (بن الزبير بن العوام) قال : أذكر أبي، وفى ظهره شعرُهُ أتعلّق به .

٣ ـ وعن هشام بن عروة، عن أبيه، قال : كان أبي يُنقِّزني، ويقول :

أبيض من آل أبي عتيق ... مُبارَكٌ من ولد الصديق

ألذّهُ كما ... أا ألذ ريقي

٤ ـ وعن العباس بن هشام عن أبيه قال : كانت أم الفضل بن عباس تُرقص الفضل، وتقول :

ثكلتُ نفسي وثكلتُ بكري ... إن لم يسُدْ قهرًا أو عين قهر

بالحسب العز ... وبذل الوفر

٥ ـ وعن الشعبي قال : كانت قريش تحب عثمان، حتى إن المرأة كانت تُرقص ابنها وتقول :

أحبك والرحمن ... حب قريش عثمان

٦ ـ وعن أبي إسحاق قال : كان العباس يرقص قثماً يقول :

يا قُثم يا قُثم ... يا ذا الأنف الأشم

يا شبه ... ذى الكرم

٧ ـ وعن معمر صاحب البنات، قال رأيت الحسن (البصرى) يُرقص ابنه ويقول :

يا رب لا تعجل به المنية حتى أرى قُبَّته مبنية
فيها فتاةٌ طفلة هنيّة ولادةُ الغلمان بربريّة

٨ ـ وعن ابن أبى مليكة قال : كانت عائشة ـ رضى الله عنها ـ تُنقِّزُ الحسن بن على وتقول :

بأبى شِبه النبى ليس شُبْهًا بعلى

٩ ـ وعن أبى الزناد قال : كان عثمان بن عفان يقول :

فأىُّ شىءٍ لا يُحبُّ ولده حتى الحُبارى وتدف عبده

قال : سألت عمى عن عبده ، قال لعارضه : انتهى» .

وفى هذا التنقيز والترقيص فوائد عديدة منها :

١ ـ تعبير صادق عن فطرة الأبوة والأمومة، حيث يخرج الولدان من عادة التقيد بالتقاليد بينهما، إلى عالم فسيح عنصره الطفل البرىء .

٢ ـ تحريك لمشاعر الطفل وأعضائه ونفسيته، فيتجاوب مع العالم الخارجى من حوله، ويحس بأبيه وأمه وإخوته وأقربائه ، فلكل منهم له طريقة فى الترقيص .

٣ ـ ترويح للوالدين للتعبير عن الفرحة التى غمرتها بهذا المولود الجديد .

٤ ـ توليد جو عائلى عاطفى، يتخلله ضحك الصغير والكبير، مما يُضفى على العائلة البهجة والسرور .

٥ ـ ترقيص الصغير طريق لنزع فتيل الخلاف بين الزوجين ـ إن حصل ـ

وفرصة سانحة لإعادة الوئام والحب والصفاء بينهما .

٦ ـ تنشيط لمشاعر حنان الأبوة والأمومة كلما خبت أو ضعفت .

٧ ـ وفيه سماع الرضيع لكلمات موزونة، تزيد من طربه، ومن بدء نشأته، ودخوله إلى الحياة، وتخزين مفردات اللغة، فينشأ مهتمًا بها، يملك ذوقًا لغويًا .

٨ ـ وفيه تحريك لأعضاء الطفل وتنشيط لدورته الدموية مع سماعه الكلمات .

٩ ـ وفيه إدخال السرور إلى قلب الصغير والاهتمام به .

١٠ ـ وفيه توليد الجو الاجتماعى بين الطفل ومن يُرقصه ويلاعبه، كما فيه تنمية لمشاعر النفسية، وتحريك لفكره بالكلمات الجديدة، ونماء لعضلاته الجسمية . والله أعلم .

* * *